ملحق
مجلة حراء

حراء
مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com

تقرير مؤتمر

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية

جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩







www.hiramagazine.com



المشاركون

أ.د. أحمد الطيب / مصر
أ.د. طارق البشري / مصر
د. مصطفى أوزجان / تركيا
د. محمد سليم العوا / مصر
د. نادية مصطفى / مصر
د. محمد عمارة / مصر
د. عالية المهدي / مصر
د. رضوان السيد / لبنان
د. محمد كمال إمام / مصر
د. أبو يعرب المرزوقي / تونس
د. سيف الدين عبد الفتاح / مصر
د. زينب الخضيري / مصر
د. إبراهيم البيومي غانم / مصر
د. أرجون جابان / تركيا
د. كمال المنوفي / مصر
أ. نوزاد صواش / تركيا
د. جيل كارول / الولايات المتحدة
د. سمير بودينار / المغرب
أ. محمد أنس أركنه / تركيا
د. محمود الكردي / مصر
د. رجب قيماقجان / تركيا
د. فتحي ملكاوي / الأردن
د. محمد صفار / مصر
د. فاتنة شاكر / السعودية
د. عمار جيدل / الجزائر
د. يوهان هانفر / ألمانيا
أ. أيمن شحاتة / مصر
د. ليونيد سكيانان / روسيا
أ. عبد الله عرفان / مصر
د. صلاح عرفة / مصر
د. باكينام الشرقاوي / مصر
د. حسن أبو طالب / مصر
أ. عصام سلطان / مصر
د. عبد الحميد مذكور / مصر
د. ناهد عز الدين / مصر
د. هبة رؤوف عزت / مصر
د. هدى درويش / مصر

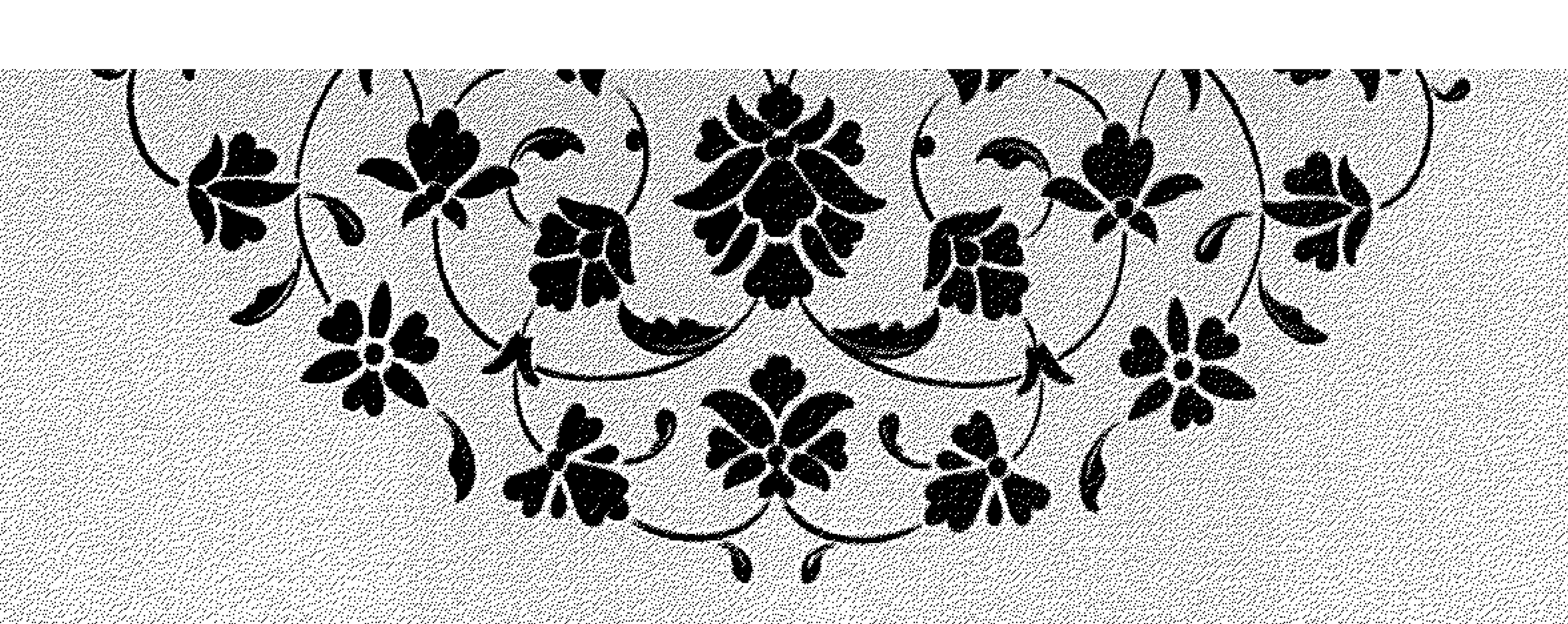


مُلحَق
مجلة حراء

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية





الإنسان
في قلب الإصلاح الإسلامي

أ.د. نادية مصطفى*

تابعتُ مجلة حراء منذ صدورها، تابعتُها شكلاً ومضمونًا، قريبًا أو بعيدًا عمّن كانوا وراء ميلادها ونموها. انجذبت إلى روحانية ووجدانية معانيها والمجدولة بعقلانية ورشادة إسلامية؛ مما جعل منها -في نظري- معينًا إيمانيًا وروحانيًا لكل عازم على المشاركة في إصلاح أمتنا. تمنيت أن أتمكن من المشاركة على صفحاتها... ولكن كيف وأنا أستاذة علوم سياسية وموضوعات حراء تبدو أنها بعيدة عن السياسة؟

ولكن كنت أعرف أنني يجب أن أشارك في هذه الصفحات؛ لأن الروحانية والوجدانية هي أساس تربوي يلزم كل عمل عام لصالح الجماعة والأمة والإنسانية. وهكذا يجب أن نفهم "السياسة". ومن ثم فالسياسة حاضرة هنا ولكن ليس بالمفهوم الحداثي الوضعي الواقعي، الذي يعكس كل أنماط الصراعات المادية منقطعةً الصلة عن الله وعن الإنسان ومجتمعه؛ لذا فإن السياسة المقصودة هنا إنما هي السياسة بالمفهوم الإسلامي الحضاري، الساعية للعمران من خلال الرعاية، فهي منتج لمنهج تربوي شامل، يبدأ بالإنسان ويصبّ في عافية الأمة كلها، وتشارك فيها الأمةُ كلٌّ بما يُسِّر له. إذن السياسة ليست الحكم والسلطة من أعلى فقط، كما دَرَجَ الناس على فهم

* رئيس برنامج حوار الحضارات، ومدير مركز البحوث والدراسات السياسية / مصر.

الأستاذ فتح الله كولن





السياسة باعتبارها فقط سلطة إدارة الحكم من أعلى.

وجاءتني الفرصة مع هذه الصفحات التي أقدم من خلالها خبرتي مع المؤتمر الدولي "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي؛ خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"؛ وهو المؤتمر الذي عُقِد في القاهرة في مقر جامعة الدول العربية في تاريخ ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، بالتعاون بين مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية-جامعة القاهرة، وبين وقف أكاديمية البحوث والإنترنت، ومجلة حراء بإسطنبول.

وهو المؤتمر الذي شارك في جلساته عبر ثلاثة أيام ما يزيد عن ألفي مشارك من الشباب والإعلاميين وأساتذة الجامعات والناشطين المدنيين والسياسيين.

وعلى هذا النحو، من حيث نمط المشاركين ومكان الانعقاد ونطاق الحضور، فإن المؤتمر كان الأول من نوعه لتقديم هذه الخبرة الفكرية والحركية من الدائرة التركية في الحضارة الإسلامية إلى الدائرة العربية منها. ولقد بذل الأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي والأستاذ الدكتور باكينام الشرقاوي المنسقان العلميان كافة جهدهما لتحويل فكرة المؤتمر إلى واقع ملموس.

فإذا كانت حِراء تقدم طاقات الإيمان والوجدان والروح اللازمة لتحريك وتفعيل العمل والحركة، فهي تعد منبرًا يجسد ويعكس أهداف حركة فتح الله كولن وفي قلبها فكر هذا المفكر المصلح المعاصر الذي خرج وحركته من قلب تركيا الحديثة، مولِّدًا آثارًا مهمة ليس على صعيد تركيا فقط ولكن على صعيد الأمة الإسلامية والعالم. وعلى نحو فجَّر الاهتمام بالتعرف على هذا الفكر وهذه الحركة.

ولقد كانت خبرة مركز الدراسات الحضارية مع حراء، من خلال لقاءات متبادلة في القاهرة وإسطنبول

(٢٠٠٥/٢٠٠٩) بمثابة التمهيد للطريق الذي قادنا إلى المؤتمر، وهو الطريق الذي انجدلت عبره أواصر التعارف الجميل بنماذج أعضاء الحركة وإسهاماتها، واكتشفنا خلالها موضع "الإنسان" وطبيعته في فكر "كولن" وحركته.

الإنسان والإنسانية ومذهب الإنسانية كلمات تتردد على ألسنة كثيرة، وتحمل معانيَ عدة: الإنسان الذي تماهى مع الطبيعة أو المادة، الإنسان الذي تلاشى في العدمية والوجودية، الإنسان العقلاني الرشيد، الإنسان الرومانسي الحالم .. وهكذا. ولكن الإنسان الذي نصبو إلى إصلاحه -باعتباره حجر الزاوية في عملية "إصلاح إسلامي" وفق مرجعية إسلامية وسطية تعارفية حضارية- هو الإنسان الذي يملأ فكر فتح الله كولن، وتجسده نماذج حركة فتح الله كولن والتي هي "نماذج من ذاتها". إنه الإنسان الجديد الذي وصفه كولن بأنه من "الجيل الذهبي" الذي يتربى بهويته الذاتية ويتزين بمقوماته التاريخية، إنه من أطباء الروح والمعنى، إنه المخ المدبّر يصل إلى جميع وحدات المجتمع ويمتد تأثيره إلى جميع خلايا جسم الأمة. إنه يمس شيئًا من الروح ومن المعنى، إنه من قادة أركان الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، إنه من أبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها، إنه واحد من "حفنة المجانين" الذين يمكنهم إعادة تجديد الأمة...

هكذا تحدث الشيخ فتح الله كولن عن الإنسان؛ سواء على مستوى القيادة المطلوبة لإحداث الإصلاح أو على مستوى الشجرة وثمارها، هذا الإنسان هو الغاية والهدف، هو المنطلق والمبتدأ، وهو المآل والنتيجة. وما عدا ذلك هي وسائل آليات، سبل سعي وراء هذا الإنسان، ومن منظومة إيمانية إسلامية تجد جذورها ومصادرها في الإسلام، كما عاشه واحتواه فتح الله كولن عبر مسار حياته الممتدة.

وهذه المنظومة وهذه الجذور وهذه المصادر يتشارك فتح الله كولن وحركته قسمات منها مع أفكار وحركات إصلاحية إسلامية عبر أرجاء العالم الإسلامي وعبر مراحل تاريخه. فلم تغفل هذه الأفكار وهذه الحركات، على تنوعها وتعددها، أن الإنسان -في الرؤية الإسلامية- هو مكمن الصلاح أو مناط الفشل في هذه الأمة، مستدعيًا بعد ذلك بقية العوامل والمصادر الأخرى، أي المادية منها. ولكن ماذا عن جوانب التميّز في فكر وحركة الشيخ فتح الله كولن وماذا عن التمايز بينها وبين غيرها من الأفكار والحركات الإصلاحية الإسلامية المعاصرة والسابقة؟

سؤالان كان لابد من طرحهما في دائرة الفكر والحركة الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي وهي تتفاعل وتتعارف مع فكر وحركة فتح الله كولن، ولكن بعد أن توطد تعارف الغرب وأرجاء أخرى من العالم مع الحركة وقائدها.

فلقد حظيت الحركة وفكرها اهتمام دوائر فكرية وأكاديمية وسياسية غربية، وانعقدت لها المؤتمرات وصدرت عنها الكتب والمقالات في الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا. ولقد اعتبرت هذه اللقاءات في مجملها أن حركة فتح الله كولن من أهم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن العشرين؛ ومن ثم اعتبارها من أكثر الحركات الاجتماعية والمدنية تأثيرًا على العالم في القرن الواحد والعشرين، ولقد قدمت هذه الأعمال الحركة من منظور اهتمامات الغرب بوضع العالم الإسلامي في العالم وبالتأثيرات الخارجية

والعالمية لحركة فتح الله كولن؛ انطلاقًا بالطبع من طبيعة الإطار الوطني التركي.

وفي المقابل كان لابد أن يكون لاقترابنا من حركة فتح الله كولن وفكره خصوصية، مقارنةً باقتراب المؤتمرات العالمية الأخرى التي عقدها الغرب.

ولذا فإن مؤتمر القاهرة، وسعيًا أيضًا للإجابة على السؤالين السابق طرحهما عاليًا عن أوجه تميز الحركة في مجال الإصلاح الإسلامي، قد حدد اقترابًا وهدفًا ورسم معمارًا لموضوعه وانعقد في سياق متميز وتوصل إلى نتائج ذات دلالة.

بدراسة الإشكاليات التي تثور أمام المهتمين بفكر وحركة رواد الإصلاح والتجديد الإسلامي بصفة عامة وفكر وحركة فتح الله كولن بصفة خاصة، سواء في إطارها التركي أو الإسلامي أو العالمي.

والأطروحة الفكرية الرئيسة التي ينطلق منها هذا المؤتمر هي: أن التنوع في نماذج الإصلاح يعتبر من أبجديات "المرجعية الإسلامية" التي يؤمن بها رواد الإصلاح والتجديد، ويسترشدون بمبادئها في اجتهاداتهم، ويسعون للتجديد والنهوض بمجتمعاتهم في ضوئها. بهذا المعنى يمكن القول إن التعدد



أولاً- هدف المؤتمر وفكرته ومنطلقاته

إن هدف المؤتمر يترجم خصوصية اقترابنا نحن في الدائرة العربية من خبرة تركية مثل التي نحن بصددها. فلقد كان اقتراب الإصلاح والتجديد في المجال الحضاري العربي والإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين هو المنطلق الذي تمت الموافقة عليه لعرض وتحليل فكر فتح الله كولن وخبرة حركته -داخليًا وخارجيًا- مقارنة بخبرات ورؤى إصلاحية أخرى في العالميْن العربي والإسلامي، خلال نفس الفترة الزمنية. وهذا الاقتراب يعكس فكرة أساسية ينطلق منها المؤتمر كما ينبثق عن أهداف عدة ترتبط

في إطار وحدة المرجعية ليس فقط مقبولاً؛ بل هو ضروري ولازم، وهو من مظاهر التعبير عن فهم الإسلام بوصفه نظامًا شاملاً. المنطلقات واحدة إلا أن تعدد جوانب الحياة والتنوع في المشكلات والقضايا وتغيرها من فترة لأخرى، ومن مكان إلى آخر؛ كل ذلك يقود إلى اختلاف الرؤى وتعدد برامج الإصلاح. هذا التنوع في الرؤى والبرامج الإصلاحية على أساس المرجعية الإسلامية؛ إنما يعبر عن أصل الأشياء، وينسجم مع حقائق الوقائع الاجتماعية والسياسية، ويعكس جوهر الفطرة الإنسانية التي تتأبى على التنميط والقولبة وتنزع دومًا للتنوع وتتآلف مع حقائق

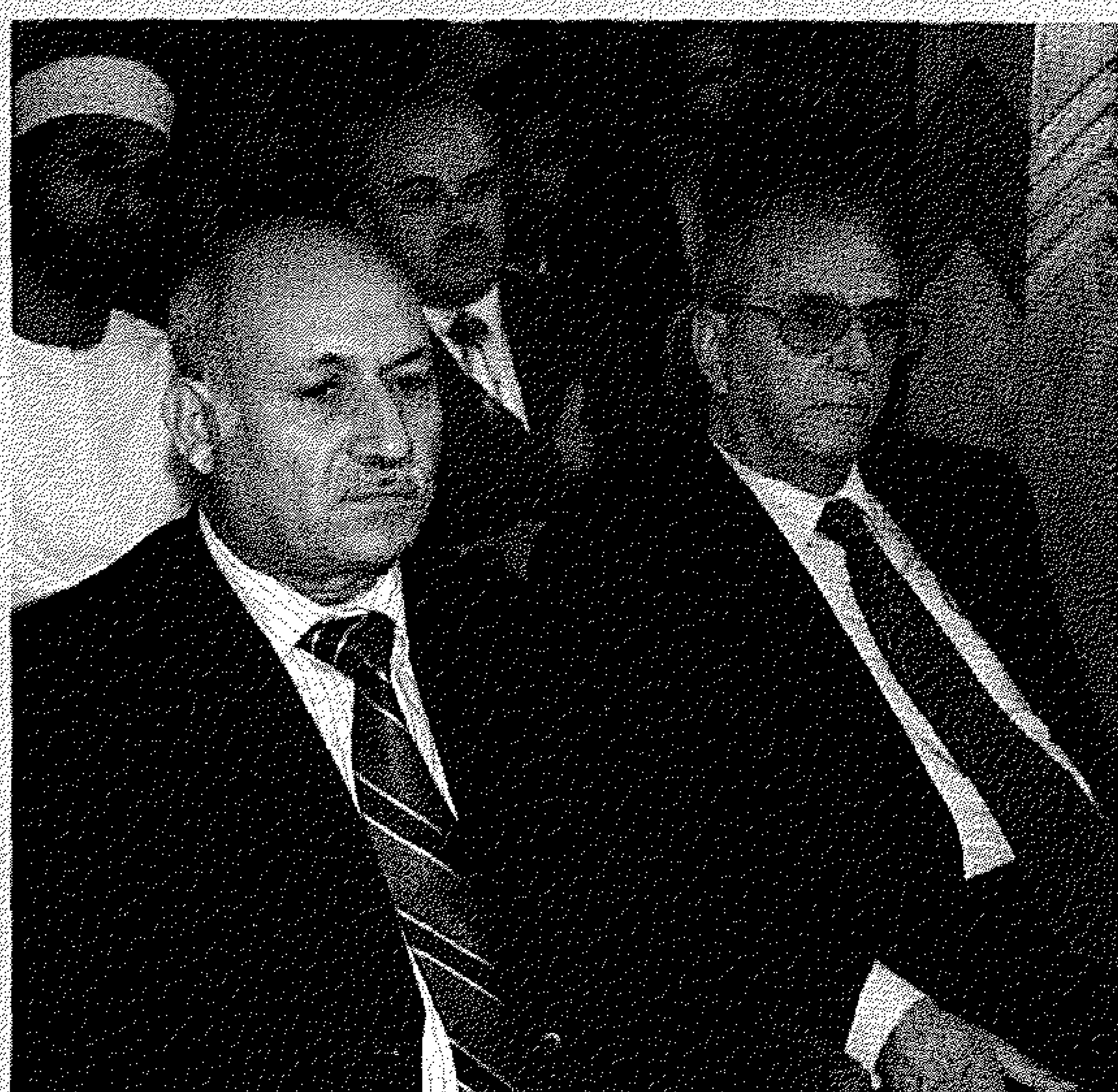
التعدد في الكون وفي معطيات الحياة الاجتماعية. المرجعية الإسلامية ذاتها هي التي تفتح الأبواب المغلقة، وترحب بجميع الاجتهادات التي تشتبك مع الواقع وتهدف لإصلاحه وتطويره.

إن الوضع المثالي هو التعدد على أرضية واحدة وليس التقيد بخبرة واحدة بذاتها دون غيرها. ويرتبط ذلك بخصوصية الرؤية الإسلامية النابعة من شموليتها، حيث لا يمكن الفصل بين الديني وغير الديني، فالديني يغطي بطرق متفاوتة أبعاد الحياة الإنسانية على كثرتها، ومن بينها السياسي؛ خاصة إذا ما تم تبني تعريف شامل وواسع لماهية السياسي. وعندما تبدأ مراجعة حقيقية وجادة لأهمية الوصل وليس الفصل بين الديني وغير الديني - حيث لا توجد في الأصول المرجعية ما يدعم فكرة الفصل- ستكون خطوة مهمة قد أنجزت في سبيل رفع مستوى فعالية وإنجاز أي عملية إصلاحية في العالم الإسلامي.

وانطلاقاً من تنوع وتعدد نماذج الإصلاح المستندة للرؤية الإسلامية، يبرز سؤال المؤتمر الرئيسي: ما هي مداخل التغيير المتنافسة في سبيل الإصلاح والنهضة في مجتمعات العالم الإسلامي المعاصر؟ وأين موضع حركة فتح الله كولن منها؟

تشير تجارب الإصلاح والتجديد على امتداد العالم الإسلامي المعاصر إلى وجود عدد من الرؤى الاجتهادية، كما تشير إلى أن كلاً منها له زاوية اهتمام رئيسية تختلف عن زاوية اهتمام الرؤى الأخرى، وله مزاياه وإنجازاته، كما أن له نواقصه وإخفاقاته. من هذه الرؤى ما يركز على أن الإصلاح يبدأ من أعلى، وأن إصلاح السلطة السياسية مقدّم على الإصلاح الاجتماعي والتربوي، في مقابل رؤية أخرى تؤكد على أن البداية الصحيحة يجب أن تكون من القاعدة الاجتماعية، ويجب أن ترتكز على التربية والتنشئة والتنمية الروحية والأخلاقية. وهناك رؤية يعتقد أصحابُها أن الإصلاح رهنُ


أ. محمد أنس أركنه / تركيا



د. عمار طالبي، د. عمار مساعدي / الجزائر


الأستاذ مطيع الرسول / كينيا

استخدام القوة الخشِنة في مواجهة عوامل التأخر، وأسباب التدهور سواء كانت داخلية أم خارجية؛ أي إنه يجب أَطْر الناس على الإصلاح أطرًا، في مقابل رؤية أخرى يعتقد أصحابها أن الإصلاح لا يؤتي ثماره إلا بالوسائل السلمية التدريجية طويلة النفس. هناك من يركز على إصلاح ما فسد من عقائد الناس، وهناك من يرى أن التركيز يجب أن يتجه إلى العلاقات والمعاملات والمؤسسات، وأن إصلاحها سيلقي بثماره على الجميع وإن بنسب متفاوتة. هناك أيضًا من يصبّ جل اجتهاداته في مقاومة ضغوط الخارج التي تعوق النهضة والإصلاح، وهناك من يقول له: لا... الأهم هو قهر عوامل التأخر الداخلي أولاً... وهكذا. وعلى أساس اختلاف الرؤى والاجتهادات وتباينها، تشكلت حركات وجماعات ومؤسسات، واكتسب كل منها طابعًا يعكس بؤرة اهتمامه، ويوضح نقطة انطلاقه، ويؤشر على منهجيته في الاجتهاد، وجميعهم في إطار ما تتيحه المرجعية الإسلامية الشاملة. أما الحكم على صحة وجدوى هذه الرؤية أو تلك، أو أفضلية هذا الاجتهاد وصحته وصلاحيته على غيره، فهذا متروك للتجريب في الواقع، ولتقدير ما تنتجه هذه الرؤية أو تلك من مصالح، وما تدفعه من مفاسد. والحَكمُ العدلُ في التقويم العملي هو رأي المواطنين الذين تتشكل منهم الأمة؛ نقصد رأيها العام، ورأيها العام لا يمكن أن يجتمع على إقرار الخطأ وإنكار الصواب، أو قبول الفساد ورفض الإصلاح.

وفي جميع الحالات يظل السؤال الأساسي مطروحًا، وهو: لماذا يعلو بُعد من أبعاد الإصلاح على غيره لدى بعض الإصلاحيين، ويحتل قمة أولويات تحركه؟ هل هذا اختيار قائم على نمط الاستجابة للتحدي؛ أهي مقتضيات الظرف، أم إنها من منطلق الاختيار الاجتهادي؟ أم نتيجة عوامل متعددة ولِما تفرضه هذه العوامل من أولويات للعمل، ولِما يحف بها من أسباب النجاح والفشل؟

إذا ألقينا نظرة عامة على بعض بلدان العالم الإسلامي المعاصر سنجد أن لكل منطقة، وأحيانًا لكل دولة، سماتٍ خاصة، وظروفًا معينة تجعلها مختلفة عن غيرها. "تركيا الحديثة" -على سبيل المثال- لها أكثر من خصوصية ناجمة عن ظروف انتقالها من دولة كبرى إلى دولة هامشية في النظام الدولي، ومن إرث عثماني/إسلامي إلى توجه علماني تغريبي طيلة ثمانية عقود. وقد فرضت هذه الخصوصيات تحدياتٍ مختلفةً على حركات الإصلاح الإسلامية التركية، وقدمت في إطارها بدائل متميزة ومسارات لها خصوصيتها تجعل من التركيز على الحالة التركية -ليس فقط عامل إثراء للأطروحات الإصلاحية في العالم الإسلامي- بل أيضا خبرة كاشفة ومفسرة لمحددات الفعالية وعناصر الديناميكية المفقودة في كثير من الخبرات المناظرة في الدائرة الحضارية الإسلامية.

ومن ثم فإن عملية البحث في الخبرة التركية، التي تقدمها حركة الشيخ والمفكر فتح الله كولن داخل تركيا، وبامتداداتها إلى خارجها، لن تحقق أهدافها بدون وضعها في سياق وإطار أوسع يتضمن حالات مقارنة تختلف من حيث سياقها الخارجي ومن حيث سياقها الداخلي، ومن حيث إنجازاتها الداخلية والخارجية مقارنةً بما حققه الصعود التركي خلال العقدين الماضيين، وما حاق بتوجه السياسات الداخلية والخارجية التركية من تطورات. وجميعها دفعت للتساؤل عن طبيعة وماهية رؤية هذا النموذج للإصلاح من منطلقات إسلامية.

وينطلق المؤتمر من إشكاليتين/تساؤلين أساسيين، توخينا أنهما يساعدان على الإجابة عن سؤالَيْ تميز الحركة في ذاتها ومقارنةً بغيرها.

التساؤل الأول عن العلاقة بين الفكر والحركة السياسية. هناك نمط شائع ويحتل الأضواء وهو ذاك الذي يتجه نحو الحركة السياسية المباشرة، وهناك من الفكر ما يقتصر على المجال الحركي الدعوي أو التربوي أو الاجتماعي.

ومن هنا نلحظ ما يذيع من معايير التمييز بين رواد



الإصلاح والتجديد، وأيضًا بين الحركات والتيارات الإسلامية على نحو يخلق استقطابًا ثنائيًا مصطنعًا بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي في حركات وتيارات الإصلاح.

أما كيف تتحول طاقة المشروع الفكري إلى قوة حركة للتغيير الحضاري، وليس السياسي فقط، فهذا هو الحاضر الغائب في كل جهود الإصلاح الإسلامي عبر القرنين الماضيين، أو على الأقل هذا هو الحاضر الغائب في القراءات المقدمة عن هذه الحركات والتيارات وعن مآلها حتى الآن.

ولعلنا نستطيع أن نقول أيضًا إن من أهم ملامح التوافق بين الأدبيات التي قوّمت جهود الإصلاح والتغيير من أجل النهوض، والتي تعاقبت عبر قرنين، هو عدم تحول المشروع الفكري إلى برامج وخطط حركة، بل وإلى مؤسسات تقوم بأدوار متكاملة



في مجالات مترابطة تُشكِّل في مجموعها المنظومة الحضارية ابتداءً من منظومة قيم التربية والتعليم والثقافة والاقتصاد والإعلام والسياسة وصولاً إلى الهياكل والمؤسسات التي تهتدي بهذه المنظومات في برامج حركتها.

وإذا كانت الخبرة التركية مع فتح الله كولن تبدو أنها تقدم نموذجًا عن كيفية ملء هذه المنطقة الوسطى غير المملوءة عادة في مشروعات إصلاحية سابقة أو راهنة، ألا وهي المنطقة الوسطى بين الفكر التربوي وبين الحركة الاجتماعية وصولاً إلى الحركة السياسية، بعبارة أخرى، المنطقة الوسطى بين تربية الفرد ومنه إلى المجتمع ومنه إلى السياسة، فكيف تتحقق هذه العملية؟ وما شروطها؟ فبدون ادّعاء، بل مع تأكيد عدم الارتباط بالسياسة، فكيف كان لحركة الإصلاح التربوية الحديثة في تركيا مردودٌ اجتماعي واقتصادي وسياسي؟ ومن ثم فإذا كان جانبٌ من أعمال المؤتمر يحاول الإجابة عن هذا السؤال إلا أن استدعاء تجارب أخرى للمقارنة حول نفس الإشكالية سيمثل جانبًا آخر من هذه الأعمال.

التساؤل الثاني عن العلاقة بين عالمية الرسالة الإسلامية وإنسانيتها وبين خصوصيتها: فإلى أي حد اتجهت جهود واجتهادات رواد الإصلاح إلى ما هو أبعد من مجرد الإصلاح الديني أو الفقهي إلى الإصلاح المجتمعي، بل وإلى الإصلاح العالمي؛ أي إصلاح حال الإنسانية باعتبار أن المسلمين جزءٌ منها، وإن اختلف بالطبع مفهوم "الإنسانية" من فلسفة حضارية إلى أخرى. بعبارة أخرى، ما هي الامتدادات الخارجية لمشروعات الإصلاح الإسلامية، التي تأسست في أطر وطنية وإقليمية محددة؟ وما هي غايات وأهداف وآليات وأدوات هذا الامتداد؟ وهل اقتصرت على المناطق الإسلامية ومشاكلها فقط؟

إذا كانت الأدبيات -التي تزخر بها الساحة الأكاديمية والفكرية عن رواد وتيارات الإصلاح الراهنة والسابقة في العالم الإسلامي- قد اجتهدت لتصنيف هذه الجهود ودراسة محتوى ومضمون أفكار رموزها، فهل تمثل الإشكاليتان السابقتان جديدًا في هذا المجال؟ وخاصةً من حيث تعديلهما الخطوط الفاصلة بين الفكر والمجتمع والسياسة. وهذا ملمح من ملامح الدراسات الحضارية من مدخل العلوم السياسية، فهي ليست بالدراسات السياسية التقليدية أو الاجتماعية التقليدية أو الفلسفية والفكرية التقليدية، ولكن تحاول أعمال المؤتمر من خلال هاتين الإشكاليين

أن تقدم جديدًا. وتمثل حركة الخبرة التركية في ظل تأثيرات حركة فتح الله كولن وفكره ساحة أساسية لاختبار هاتين الإشكاليتين مقارنةً بالرؤى والخبرات الإصلاحية الأخرى.

ثانيًا- معمار المؤتمر؛ المحاور والموضوعات

وانقسمت محاور المؤتمر إلى ثلاثة، تناولتها أربع عشرة دراسة عبر سبع جلسات ثم جلسة ختامية.

المحور الأول عام وتمهيدي يرسم خرائط حركات الإصلاح في العالم الإسلامي عبر نصف القرن الأخير وامتداداتها التاريخية السابقة، ويتناول منظومة المفاهيم المتصلة: الاجتهاد، التجديد، الإصلاح.

ولقد أسهمت المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر التي قدمها الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر في هذا الجانب التأسيسي للمؤتمر والذي تبلور في موضوعات دراسات كل من الأستاذ الدكتور أبو يعرب المرزوقي والأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، والأستاذ الدكتور رضوان السيد، والأستاذ الدكتور محمد سليم العوا، وتعقيبات الأستاذ الدكتور محمد عمارة والأستاذ الدكتور محمد كمال إمام والأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور عليها.


ومن أهم الإشكاليات التي نوقشت على صعيد جلسات هذا المحور: إشكالية الثابت والمتغير، وإشكالية تصنيف حركات الإصلاح، وإشكالية آفات الإصلاح وشروطه ومقوماته، ونماذج الإصلاح بين الفكر والحركة، ومجالات الإصلاح.

المحور الثاني قدم تعريفًا بالشيخ "فتح الله كولن". وساهمت دراستيْ الأستاذ الدكتور أرجون جابان والأستاذ الدكتور إبراهيم البيومي غانم في التعريف بحياة الشيخ وانتماءاته الاجتماعية وبيئته ومصادر تكوينه الفكري وخبراته العملية وطبيعة النموذج الذي يقدمه باعتباره شيخًا ومفكرًا وقائد حركة مدنية ومصلحا اجتماعيًا وناشط سلام وأديبًا وشاعرًا. وبينت الدراستان ثُنائية مصادر تكوين الشيخ: الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي، إلى جانب الاطلاع الواسع على الفلسفات والعلوم المعاصرة ناهيك عن التكامل بين الفكر والحركة. ولقد أبرزت الدكتورة أماني صالح في تعقيبها أهمية القيادة الإصلاحية وأهمية ما يميز الشيخ كولن عن غيره من مصلحي النصف الأخير من القرن العشرين، ألا وهو نقل فكره إلى الناس وتحويله إلى حركة دافعه في مجالات الإصلاح مؤكدًا على أهمية البعد الإيماني في الحركة ليس بوصفه مجرد دافع ولكن الغاية والهدف التي تكتمل بالخدمة.

ومن ثم فإن المحور الثاني من المؤتمر ما كان ليكتمل بدون بيان طبيعة نمط حركة فتح الله كولن للتغيير الاجتماعي، وباعتبارها ليست مجرد حركة تركية، ولكن حركة عبر قومية وعالمية للتربية ولعبور الجسور بين الأقوام والأديان تحقيقًا لنهوض الأمة الإسلامية وخير الإنسانية جمعاء. ومن ثم فإن بحوث هذا الجانب من المحور الثاني قدمت تعريفًا ببرنامج الحركة من حيث أهمية التعليم ومقاومة الجهل والفرقه والفقر، ومن حيث آليات ووسائل هذه الحركة ومجالات عملها داخل تركيا وعبر العالم (المدارس، الجامعات، الإعلام، رجال الأعمال، وقْف الصحفيين والكتّاب، مؤسسة أبانت للحوار، وقْف البحوث الأكاديمية والإنترنت).

ومن ثم أبرزت أيضًا هذه البحوث فلسفة الحركة ومفهوم الخدمة (العزيمة، الإخلاص، الهمة) في المجال العام. وهي الخدمة التي تستند إلى موارد بشرية بالأساس مدعومة بموارد الوقف والإنفاق من جانب "الأصناف".

وحيث لم تكن حركة فتح الله كولن إلا حركة تركية ابتداء، فإن فهم طبيعتها تزداد وضوحًا ببيان وضعها في الإطار السياسي-المجتمعي للإسلام في تركيا الحديثة. ومن ثم كانت دراسة الأستاذ علي بولاج بعنوان "الدين في تركيا والتغيير الاجتماعي وحركة فتح الله كولن"، وكذلك دراسة الأستاذ أنس أركنه "حركة فتح الله كولن بين الحركات التركية للتغيير".



وقدم كل من الأستاذ الدكتور محمود الكردي والأستاذ الدكتور أحمد زايد، وهما من رواد مدرسة علم الاجتماع في مصر، رؤاهما للحركة باعتبارها حركة تحديث إسلامية تجمع بين الحداثة والإسلام في ظل نظام علماني تطورت على صعيده العلاقة بين الدين والدولة التركية.

ولقد طرحت دراسات ومناقشات هذا المحور الثاني، حول فكر "كولن" ونمط حركته في إطارهما التركي إشكاليات أربع، وهي: إشكالية علاقة الحركة بالعمل السياسي، وإشكالية موقفها من العلمانية التركية التي تطورت منذ منتصف القرن العشرين ومدى كون الحركة تعبيرًا عن تعايش بين الدين والعلمانية، تلك الأخيرة التي يرى "كولن" أنها إطار يحقق التعايش بين التيارات المختلفة في وطن واحد، وإشكالية العلاقة بالغرب، وأخيرًا علاقة القيادة بالحركة ومدى أهمية التركيز على الحركة وليس فقط على شخص القيادة.

والمحور الثالث تناولت بحوثه مجالات العمل وخبرات الممارسة في التعليم وفي الحوار والتصدي للفرقة وفي مكافحة الفقر: من المحلية إلى العالمية، وهي مجالات ثلاثة يمتد إليها نشاط الحركة داخل تركيا وخارجها؛ مقدمة نموذجًا فريدًا من الحركات الإصلاحية الإسلامية ذات الامتدادات الخارجية والتي تكتسب ذاتيتها ليس فقط من داخل حدود وطنها الأم -تركيا- ولكن من خلال هذه الامتدادات نحو الأمة وفي العالم.

وتناولت دراستان قضية التعليم، قدمهما كل من الدكتور سمير بودينار بعنوان "فلسفة التعليم: السياحة في المجال الحيوي"، والدكتور رجب قيماقجان بعنوان "التعليم ومنظوماته المؤسسية: من المحلية إلى العالمية".

فقد أكد الدكتور سمير بودينار في ورقته على أن التعليم مثَّل المجال الأساسي الذي بدأت منه حركة كولن مسيرتها الإصلاحية. ذلك أن التعليم يمكن الحركة من بناء ما يسمى "النموذج الذاتي"؛ أي بناء الإنسان وتربيته على القيم التي تقوم عليها الحركة... كما يمكن الحركة من تحقيق "مهمة التبليغ"، التي يعتبرها كولن المهمة الأساسية لكل مسلم في الحياة.

ويحقق التعليم بناء ذلك النموذج الذاتي استنادًا إلى عناصر ثلاثة؛ أولها الإنسان الجديد، الذي يتسم بحرية التفكير والإرادة، الجمع بين الإيمان والعلم، استخدام وسائل الاتصالات الحديثة للوصول إلى عقول وقلوب الناس، عمق الجذور الروحية، حراسة القيم الإنسانية، الأصالة مع البعد عن التقليدية... أما العنصر الثاني الداعم لبناء النموذج الذاتي فيتمثل في قوة الإسلام ذاته، المستمدة من خصوصية رسالته، وتجاوزها لقوانين الزمان والمكان، والتكامل بين عناصره مع فعاليته لتحقيق مقاصده. وثالث تلك العناصر هو المرحلة الراهنة أو العصر، الذي أحسنت الحركة استغلاله والاستفادة من معطياته المتمثلة في العولمة والمناداة بحقوق الإنسان والحريات وغير ذلك.

وإذا كان الدكتور بودينار، ركز في كلمته على أهمية مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، فقد جاءت كلمة الدكتور رجب قيماقجان لتركز بشكل أكبر على رؤية كولن حول التربية والتعليم، وأساسها رفض الرؤية الحداثية للتعليم، التي تركز على الجوانب المادية والعقلية في العملية التعليمية فحسب منكرة الجوانب الروحية. وفي المقابل يطرح كولن رؤية تعليمية بديلة تقوم على التزاوج والجمع بين الروح والمادة.

ومن ثم فإنه يرفض القول بوجود تناقض بين العلم والدين، بل إنه يحث -على العكس- على تشجيع البحث العلمي، ولكن مع عدم تجاهل القيم الروحية. وجاءت رؤية كولن تتوافق مع ظهور بعض الاتجاهات في الغرب ترفض الرؤية المادية البحتة للتربية، وتدعو إلى الرؤية الكلية للإنسان.

وعن كيفية تطبيق تلك الرؤية التربوية لفتح الله كولن في المدارس على أرض الواقع، أكد الدكتور قيماقجان أن ذلك لم يكن بصياغة مناهج مخصصة أو إضافة مناهج دينية إضافية، بل باتباع نفس المناهج المحلية في كل بلد، والتركيز بدرجة أكبر على تقديم رؤية قيمية من خلال تلك المناهج، وتقديم برامج تربوية موازية للمناهج الدراسية عن طريق المعلمين، والأنشطة المدرسية المختلفة.

هذا، وفي تعقيب الأستاذ الدكتور فتحي الملكاوي على مجال التعليم في حركة فتح الله كولن، أبرز الأمور المهمة التالية؛ من ناحية: أن الحركة وجدت في التغييرات العالمية فرصة وليس مجرد تحدٍّ، وأن التغيير على الساحة التركية الذي أفرز أزمة بين المجتمع والدولة قد ولَّد بدوره فرصة انتهزتها الحركة. من ناحية ثانية: اختار كولن خيار المدرسة المدنية وليس الدينية، وبالرغم من نقده للنمط المعاصر لكل منهما إلا أنه وضع شروطًا لتفعيل المدرسة المدنية. ومن ناحية ثالثة: الفلسفة التربوية الكلية قد فشلت نتيجة تغير وضع المدرسة في المجتمع، وفلسفة ما بعد الحداثة ليست بالفلسفة الكلية وكلا الفلسفتان الكلية وما بعد الحداثية لا يتواءمان مع أهداف مدارس كولن. ومن ناحية رابعة: أهمية المناهج الإضافية الضمنية في مجال القيم، ومن ثم فإن الثقافة المدرسية والبيئة المدرسية تحققان غرسًا أكثر فعالية للقيم.

المجال الثاني لحركة فتح الله كولن هو الحوار والتصدي للفرقة، وتناولت دراسة الدكتور ياسين أقطاي خبرات حوار الداخل والمواطنة التركية. ولقد مثلت تجربة وقف جمعية الكتاب والصحفيين إحدى هذه الخبرات، ولقد التف حول نداء فتح الله كولن جميع التوجهات السياسية والفكرية وقبلت به حكمًا في الحوار الداخلي، كذلك لعب الشيخ وحركته دورًا في تدشين الحوار مع الأقليات داخل تركيا.

كما مثل منتدى أبانت ملتقى يجمع أطيافًا فكرية وسياسية مختلفة تناقش قضايا تركيا والعالم والإنسانية. وتبين الدراسة جميع هذه الخبرات وتوضح مدى ما تمتلكه حركة كولن من رأسمال إنساني يستطيع أن يجمع به أطرافًا مختلفة لتجلس معًا وتتعارف وتتمكن من بلورة رؤى أعمق.

أما الحوار مع غير المسلمين، فلقد تصدت له دراسة الدكتور محمد صفار انطلاقًا من المقارنة بين سيد قطب وفتح الله كولن. فقد اشتركا في تشخيص الأزمة التي يمر بها الإنسان؛ فأرجعها سيد قطب إلى الانفصال النكِد بين العلم والدين، وهو نفس ما يشير إليه كولن حين يتحدث عن الانفصال المزدوج.

فمما يجمع بين كولن وقطب فكرة معايشة الوحي عبر تجاوز زمني لاستعادة عصر التنزيل في عصر التأويل، وهو ما يتمثل في فكرة الشجرة والظل عند قطب، والرسول الشجرة عند كولن. وأشارت دراسة الدكتور صفار إلى أن قطب يخاطب العصبة المؤمنة، أما كولن فيتحدث إلى براعم الإيمان. كما يجمع بين الاثنين عناصر توجه صوفي، يتمثل في الأدب مع الله، وحديثهما عن مهرجان التسبيح الكوني.

وتناولت الدراسة أيضًا جوانب الاختلاف بين المفكرَيْن، فأشارت إلى أن قطب رأى حتمية الصراع بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي، بينما يؤمن كولن بالحوار وقبول الآخر وقبول الاختلاف مع الحفاظ على الذات. كما أن لكل منهما تصورًا مختلفًا لشكل الزمان.

وفي تعقيبها على الورقتين، أكدت الدكتورة باكينام الشرقاوي على منهج التقارب الذي انتهجته حركة فتح الله كولن في حوارها داخل تركيا وخارجها. وأوضحت أن كلمة السر في نجاح الحركة هي فكرة

الموازنة بين ثنائيات كثيرة: العلم والدين، الشرق والغرب، القلب والعقل... إلخ.

وأشارت إلى أن هناك عدة أسباب لنجاح الحوار داخل تركيا:

١- السياق الذي عملت فيه الحركة؛ حيث تتطور العلمانية في تركيا نحو مزيد من الليبرالية، كما أن التطور الديمقراطي رسخ دولة القانون في تركيا حيث الكلمة الفصل بين الحكومة والمعارضة هي للقانون، كما استخدمت الحركة البعد الخارجي بشكل نموذجي مما خلق بيئة دولية ترفع الداخل لإعطاء مجال أكبر للحركة مما أتاح لها فرصة للتطور.

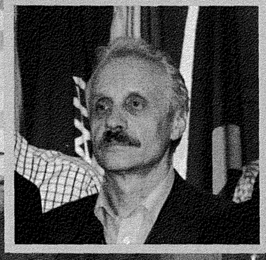
٢- استجابة كولن؛ حيث ركز على إصلاح الفرد كمقدمة لإصلاح المجتمع، وفعّل المناخ الصوفي في تركيا وعمل على تنشيطه وإخراجه من الكسل وتحويله إلى فعالية حركية اجتماعية. كما امتلك كولن المؤسسات التي تحول رؤيته إلى حركة وفعل عبر التعليم والإعلام.

٣- ويقدم كولن، رؤية أشمل ويعتمد المفاهيم التي يتبناها الفرقاء ويعطيها مضامين جديدة مكملة. فالإسلام مكمل للديمقراطية، والحداثة تحتاج للدين في المجال العام.

هذا ولقد أثارت المداخلات حول دراسات هذا المحور مسألة موقف الغرب من حركة كولن وترحيبه بها؛ حيث رأى البعض أن خطاب كولن يتناول قضايا تهم الإنسانية







بأكملها، كما أن بياناته حول الإسلام والإرهاب لقيت اهتمامًا كبيرًا في الغرب.

ولقد تم التأكيد على أن الثقة بالذات شرط من شروط نجاح الحوار مع الآخر دون الجزع المبالغ فيه على الهوية والثوابت، وأن التصور الأمثل للإصلاح يصنعه أصحابه بأنفسهم.

وكان لابد لموضوع الحوار مع غير المسلمين، مسيحيين ويهود، أن يستثير الأسئلة من جانب الحضور، حيث إن المواقف في الدائرة العربية -وخاصة المصرية- لا تتوافق حول ضرورة هذا الحوار وأهميته وخاصة مع اليهود، في حين أن حركة كولن تهتم بتفعيله وخاصة في توجهها الخارجي نحو الغرب.

أما المجال الثالث هو مجال مكافحة الفقر والإغاثة الإنسانية، وتناولته دراستان، الأولى قدمها الأستاذ الدكتور عمار جيدل، والثانية قدمها الأستاذ عبد الله عرفان والأستاذ أيمن شحاتة.

تناولت دراسة الدكتور عمار جيدل وعنوانها "محاربة الفقر: المنطلقات والغايات-حركة فتح الله كولن أنموذجا" الخلفية الفكرية والتربوية لمحاربة الفقر كما وضعها الأستاذ فتح الله كولن، والجوانب التطبيقية من فكرة محاربة الفقر كما جسّدها الذين امتلأت قلوبهم بفكرة "الخدمة الإيمانية".

أشارت الدراسة إلى أن الشيخ فتح الله كولن يرى أن الفقر الأخطر يكمن في عدم امتلاك العلم والفكر أو المهارة؛ لذا فالأغنياء الذين لا يملكون لا علما ولا فكرا ولا مهارة هم فقراء في الحقيقة، وبيّن في هذا السياق أنّه يعرض نمطين من الفقر: أولهما معنوي، والآخر مادي. من هنا اتخذت محاربة الفقر عند الأستاذ مسلكين أساسين: المسلك الأول، محاربة الفقر المعنوي، والمسلك الثاني، محاربة الفقر المادي. وهما يشتركان في اعتمادهما الكلي على أساس واحد، فلا يشيعان (الفقر المعنوي الفقر المادي) أو يعيشان إلا حيث يستقر الجهل وتغيب الخدمة الإيمانية. لهذا كان من أولويات الخدمة الإيمانية محاربة الفقر الأول الذي يعد أساس محاربة الفقر الثاني. وتناولت الدراسة جهود مؤسسات الخدمة في مجالات التعليم والإعلام والصحة والإغاثة والصناعة والتجارة داخل تركيا وخارجها.

وتناولت ورقة "برامج ومشروعات مكافحة الفقر في الداخل والخارج: نماذج مختارة"







التي اشترك في إعدادها الباحثان أيمن شحاته وعبد الله عرفان، برامج ومهامّ مكافحة الفقر في مصر وتركيا، مع مراعاة سياق كل تجربة من جهة البيئة الثقافية والاقتصادية والسياسية والمؤسسية المحيطة بهذه المشروعات والبرامج؛ حيث عرضت الدراسة أبعاد الرؤية التنموية لدى الشيخ محمد فتح الله كولن، والتي تظهر في أفكاره ونمط حركته والمشروعات المتنوعة التي تنبثق عنها. فإنها وإن كانت في بعض مؤسساتها متخصصة في محاربة الفقر، فإنها قبل ذلك وبعده تؤسس لتنمية إيمانية عمرانية مستدامة. ثم عرضت الدراسة بعض برامج ومشروعات مكافحة الفقر في تركيا ومصر، وركزت على جهود حركة فتح كولن في تركيا والجمعية الشرعية في مصر، فتناولت البرامج والأنشطة الخاصة بمحاربة الفقر لدى كل منهما سواء على المستوى المحلي أو الدولي، وكيفية تنفيذ هذه الأنشطة على أرض الواقع المحلي والعالمي. وتناول الباحثان أنشطة جمع التبرعات والتعرف على تنوعها وآلياتها، وجهود كل منهما للتعريف وبأنشطتهما بغرض جمع التبرعات.

ثالثًا- سياق انعقاد المؤتمر في جامعة الدول العربية: المغزى والدلالة

١- شهد المؤتمر إقبالاً شديدًا ممتدًا على مدى أيام انعقاده الثلاثة وأقبلت على جلساته فئات متنوعة من المصريين، وحظيت موضوعاته باهتمام شديد جسده عدد الأسئلة المكتوبة والتي وصلت إلى (٥٠٠) سؤال تقريبًا.

كذلك شارك في المؤتمر ما يقرب من مائة وخمسين مدعوًا من أفريقيا وآسيا وأوروبا والولايات المتحدة وروسيا، كما حظي المؤتمر بتغطية إعلامية واسعة.

وكما اتسمت جهود الإعداد للمؤتمر، عبر ما يقرب من الشهور الثمانية، بالتلاحم الشديد بين الأتراك والمصريين، وبالحوار الحي البناء الذي يفوق ما تطرحه الكلمات من دعاوى الحوار، فلقد شهدت أيام المؤتمر الثلاثة تلاحمًا وتفاعلاً آخر دعَم ما توطد من أواصر فكانت هي بذاتها منتجًا أساسيًا من منتجات المؤتمر، وتعبيرًا حيًا عن مرحلة جديدة نوعية في العلاقات بين الإخوة المصريين والأتراك.

ولهذا فلقد أضافت خبرة إعداد المؤتمر لخبراتنا في مركز الدراسات الحضارية مع إخوتنا

الأتراك في إسطنبول والممتدة منذ ٢٠٠٥، واتسمت دائمًا بالدفء وصدق النوايا وإخلاص العزيمة وابتغاء مرضاة الله؛ من خلال العمل الدؤوب لإعادة اللحمة بين شعوب الأمة الإسلامية التي فرقتها نوازل السياسة والتدخلات الخارجية.

٢- ليس من قبيل المصادفة أن يكون لكل من مكان انعقاد المؤتمر، وشعار المؤتمر والمحاضرة الافتتاحية مغزاه ودلالته، فبالنسبة لانعقاد المؤتمر في الجامعة العربية، فالإسلام والعروبة صنوان ومستقبل الإصلاح في العالم العربي يقع في قلب مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، ولقد مثلت أركان الأمة (مصر وتركيا وإيران) عبر تاريخها أعراق وأقوام الأمة المتنوعة.

ومن ثم أنوه إلى أن القاعة الكبرى الرسمية في الجامعة تتصدر قمتها ثلاث آيات قرآنية تقدم الكثير بالنسبة لصميم موضوع المؤتمر. الآية الأولى هي: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وهي تتوسط الآية الكريمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وآية: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.

إن قيمة التغير ابتداء من النفس والذات إلى قيمة خيرية هذه الأمة ليس بمجرد إيمانها ولكن أيضًا بحضورها وشهودها، وإعلائها قيمة الوحدة والتضامن، ثلاث قيم أساسية ترتكن إليها فلسفة المؤتمر وهدفه. وتقدم لنا حركة فتح الله كولن -مقارنة بحركات الإصلاح الإسلامية الراهنة والسابقة- دلالات مهمة بشأن كيفية تفعيل هذه القيم الثلاث المتصلة بالذات وبالأمة.

أما شعار المؤتمر فيضيف أمورًا أخرى حول أهداف المؤتمر وموضوعاته. فإذا كان الإسلام رسالة ودعوة للعالمين فإن مستقبل إصلاح العالم الإسلامي يمثل مدخلاً مهمًّا في مستقبل إصلاح العالم، بل هو أيضًا شرط له؛ وذلك على ضوء أوجه تميز النموذج المعرفي والحضاري الإسلامي (الوسطي التعارفي التعددي) في مقابل النماذج المادية الصراعية الاستئصالية.

كما أن حالة العالم وطبيعة من يقوده سياسيًّا وفكريًّا تنعكس على درجة سلامة هذا العالم ورخائه واستقراره، بل ودرجة ما يعكسه من قبول التنوع والتعدد الحضاري. هذا ولقد كانت مصر وتركيا ركنَيْن أساسيين في كافة مراحل تطور وضع العالم الإسلامي وموضعه من النظام الدولي، قوة أو ضعفًا، صعودًا وهبوطًا، ودائمًا كانت الرموز الفكرية والدعوية والسياسية من المصريين والأتراك تقوم بأدوارها القيادية في الحركات الإصلاحية. وها هو الشيخ فتح الله كولن، بما حققه وحركته من إنجازات خلال النصف القرن الأخير، ينضم إلى هذه السلسلة الذهبية من الأعلام والمجددين والمصلحين، الذين وإن اختلفت تجاربهم وتنوعت، إلا أنهم تركوا بصماتهم على مسار هذه الأمة.

وعلى ضوء ما سبق، يتضح مغزى حمامة السلام التي تتصدر شعار المؤتمر من ناحية محلقة فوق رمزين من أهم رموز مصر وتركيا، ومن ناحية أخرى؛ تنجلي من وراء أشعة الضوء ملامح الشيخ فتح الله كولن.

وأخيرًا، فإن مشاركة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب بمحاضرة افتتاحية للمؤتمر تعكس ما يجب أن يكون للأزهر الشريف، جامعًا وجامعةً، من دور في عملية الإصلاح في العالم الإسلامي.

٣- كل هذا جرى في رحاب جامعة الدول العربية التي استضافت المؤتمر، وأحاط الأمين العام للجامعة السيد عمرو موسى ومدير مكتبه السفير هشام يوسف الإعداد للمؤتمر وانعقاده بكامل رعايتهم. كما قدم المسؤولون عن إدارة المؤتمرات في الأمانة العامة للجامعة كل التسهيلات الممكنة.

وفي الجلسة الافتتاحية التي شارك فيها كلٌّ من الأستاذة الدكتورة عاليا المهدي عميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، والدكتور مصطفى أوزجان مستشار وقف أكاديمية البحوث والإنترنت بإسطنبول، كان من قبيل المفاجأة السارة أن وجه الأستاذ فتح الله كولن كلمة طيبة إلى المؤتمر قرأها الأستاذ نوزات صواش.



وكان محور كلمة الشيخ فتح الله كولن هو الإنسان، ولذا ليس من قبيل المصادفة ما عنونت به مقالتي هذه.

يقول الشيخ كولن:

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها السادة الكرام.. أعضاءَ هذا المؤتمر العلمي المبارك، من باحثين وعلماءَ ودعاةٍ ومفكرين، أيها الأحبّة الأوفياء...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن مؤتمركم هذا جدير بأن تُشَدَّ إليه الرحال. ولولا ظروف صحية تمنعني من مغادرة إقامتي، لكنت أول الحاضرين معكم، ولتربعت جالسًا بين أيديكم، مستمعًا إلى عروضكم القيّمة، ألتقط درر أفكاركم وتوجيهاتكم. وما ذلك إلا لأن هذا الذي اجتمعتم اليومَ من أجله هو قضية الأمة الأولى، إنها قضية الإصلاح. هذا المفهوم الذي كان ولم يزل أكبر إشكال واجهه الفكر البشري بمختلف تصوراته ورؤاه. ورغم ما كُتب في موضوعه على المستوى الفكري الصرف؛ فقد بقيت كثير من أسئلته الفلسفية والاجتماعية معلَّقةً في أفق العقل المعاصر. والدليل على ذلك وضع العالم اليوم، المتخبطِ في متاهات الحيرة والاضطراب، بعد استهلاك كثير من نظريات الإصلاح هنا وهناك، ولكن دون جدوى.

أما بالنسبة لنا نحن معشرَ المسلمين، في عالمنا الإسلامي هذا، فإننا رغم ما نملك من رصيد تاريخي ضخم في هذا الشأن؛ إلا أننا ما زلنا نعاني في أغلب الأحوال من عدم وضوح الرؤية، وكثرة العثرات والانكسارات. وذلك لأسباب شتى، منها عدمُ ضبط مفهوم الإصلاح، كما ورد في الكتاب والسنة، وكما مارسه الأنبياء الكرام عبر التاريخ.

أيها الحضور الكريم..

إن نبينا محمدًا ﷺ كان إمام المصلحين، وقد بُعث رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. ومن ثَمَّ كانت الرحمةُ هي أساسَ دعوته، وجوهرَ منهاجه الإصلاحي، حتى في أشد الظروف عنفًا وشدة. فإن الإصلاح الحق هو الذي يحمله رجال مخلصون، متعلقون بأشواق الروح، منكرون لذواتهم ومصالحهم الشخصية، ينظرون إلى مظاهر الانحراف في الآخرين بعيون الشفقة والرحمة، ويعالجون جراحات الآخرين، باعتبارها قروحًا تنزف في أجسامهم هم.

إن الإصلاح تربية وتعليم، وما كان ينبغي للمعلم إلا أن يكون رحيمًا حكيمًا. ومن ثَمَّ فإن التعليم بكل أبعاده الشمولية، هو الذي يمثل جوهر المنهاج الإصلاحي، وقد ثبت في الحديث الصحيح قولُ النبي ﷺ: "إنما بُعِثْتُ مُعَلِّمًا".

إن سر مركزية التعليم في العمل الإصلاحي، هو دورانه على الإنسان، مُعَلِّمًا ومُتَعَلِّمًا. ذلك أن المعلم المنخرط في مهنته بروح التعبد الخالص، يستطيع أن يصنع من تلميذه إنسانًا جديدًا، ينظر إلى مستقبل الأمة بعيون يملؤها الأمل، وقلبٍ ينبض بالمحبة والسلام. ومن ثم فإن إصلاح الأجيال، مرتهن بإصلاح التعليم، وإخراج فلسفته من ضيق المنطق الوظيفي الميت، إلى سَعَةِ العمل الإنساني النبيل، ألاَ وهو بناء الإنسان بكل أبعاده النفسية والفكرية. وإن التعليم بهذا المنطق النبوي الكريم، يستطيع أن يجدد البنى الاقتصادية، والعلاقاتِ الاجتماعيةَ والسياسيةَ والثقافية في البلاد، ويحدوها برفق وهدوء، نحو التآلف والتكامل والنهوض.

إن أول خطوة في مشروع الإصلاح، هي إنتاج الإنسان، الإنسان الذي فَنِيَ عن نفسه في قضية أمته، وتعلق قلبه بأشواق الآخرة، ثم اتخذ مهمته التعليمية مسلكًا لمعرفة الله وعمارة الأرض.


وأخيرًا، بارك الله في مؤتمركم.. وزكّى حواراتكم.. وجعل كل كلمة من كلماتكم ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

رابعًا- نتائج المؤتمر

كيف استقبل "المصريون" الحركة وفكرها؟

قالت "جيل كارول" في بداية الجلسة التي رأستها -وكانت عن الحوار- إن أحد أهم أسباب مشاركتها في المؤتمر هي التعرف على نمط استجابة المصريين لهذه التجربة التي تعرف عليها الغرب وأشاد بها قبل أن يتعرف عليها الجوار العربي لتركيا، ولقد أشاد بها الغرب باعتبارها توفيقًا بين الحداثة والديمقراطية والعلمانية وبين الإسلام. وإذا كانت اقترابات المؤتمرات الغربية من فكر "كولن" والحركة قد استدعت قضايا من قبيل الحداثة، الديمقراطية العلمانية، التعددية، المواطنة، الاندماج وما يرتبط بها من مفاهيم المجتمع المدني، المجال العام، التغيير المجتمعي، ومع إعطاء اهتمام خاص بقضايا العنف واندماج مسلمي الغرب والحوار الإبراهيمي ومكافحة الإرهاب والتطرف، فإن اقتراب مؤتمرنا في القاهرة، كان مختلفًا يبحث في غايات أخرى تتصل بمستقبل مسار حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، كما سبق وأشرنا.

إن تشخيص الوضع الراهن المعاصر للمجتمعات والنظم العربية والإسلامية يبين كيف أن جهود الإصلاح والتجديد التي تمثل امتدادات لاتجاهات وحركات الإصلاح الحديث -ابتداءً من القرن التاسع عشر الميلادي- إنما تعاني من ضعف الانسجام والتنسيق بين المداخل الأساسية للإصلاح في العالم الإسلامي: المدخل السياسي، والمدخل التربوي-



أ. نوزاد صواش، المشرف العام لمجلة حراء / تركيا

الاجتماعي، ناهيك بالطبع عن المدخل العقدي. ومن ثم فإن تحديات الوضع الراهن من ناحية ودواعي التفكير الاستراتيجي في متطلبات الاستجابة الفاعلة لهذه التحديات، من ناحية أخرى، تفرض البحث في تفسير هذه الظاهرة؛ أي عدم الانسجام بين هذه المداخل والبحث في النماذج التي تجاوزت هذا الوضع، وكيف أدركها وعالجها الرواد والمصلحون المعاصرون خلال النصف قرن الأخير، وأين دلالة النموذج التركي في هذا السياق؟

ومن ثم باستدعاء ما حدده المؤتمر من غايات وأهداف، وما طرحته البحوث والمناقشات من قضايا وأفكار، حددت الجلسة الختامية مجموعة من النتائج طرحها تفاعل المصريين مع خبرة حركة فتح الله كولن (فكرًا وممارسة):

الإشكالية الأولى: العلاقة بين الفكر والحركة، حقيقة هناك قواسم مشتركة بين فكر "كولن" الراعي لإصلاح الإنسان وفكر أعلام آخرين انطلقوا من نفس المنطلق؛ نظرًا للاشتراك في مرجعية واحدة.

ولكن يظل الفارق هو أن كولن لم يكن مجرد مفكر ولكنه مصلح نقل الفكر إلى مجال الحركة وبطريقة مؤسسية منظمة ومتعددة المستويات ومتعددة المجالات، وعلى نحو يمثل شبكة من التفاعلات المتعاضدة التي يقوم بها وعليها "حفنة من المجانين" تقدم طاقاتها البشرية وليس المالية فقط، استجابة لفكر قيادة إيمانية. وفي هذا يقول فتح الله كولن في مقال "إنسان الفكر والحركية" (أكتوبر ١٩٩٤):

"إنسان الفكر والحركية هو رجل الانطلاقة والحملة، الحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجددًا، ويمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط ومنذ عصور، ويُفسر قيمنا التاريخية كرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الإرادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعنانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا.

فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس إلى الفكر، ثم إلى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والإنشاء أبدًا. إنه وليّ الحق اللدني الذي يُعِدّ "قادة أركان" الروح ومهندسي العقل وعمال الفكر، بدلاً عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش".

وهذا الفكر الذي تنطلق منه الحركة ليس إلا فكرًا إسلاميًّا يبدأ من القلوب من داخل الإنسان ليشع الإيمان عملاً. وفي هذا يقول أيضًا محمد فتح الله كولن في مقاله "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" (١٩٩٩):

"منذ أن نصب الإسلام سرادقه في الأرض، توجه إلى القلوب بأشد قوته، وسعى لفتح القلوب، ورسَمَ صورتَه في كل وجدان، ثم حَمَل على وحدات الحياة كلها. فثم تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في فصول الحياة. فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتأصله فيها، يطفح فيضُ تأثيره في حياتنا وانعكاساته فيما حولنا. بل نستطيع القول بأن الآمال والأشواق ومسلمات القبول المستيقظة فيما حولنا باسم الإسلام، تتحقق تمامًا، بالتناسب مع عمق هذه الصورة الداخلية وسعة إحاطتها. فكلما تعمق القبول الابتدائي هذا في دواخل البشر، زادت قوة تأثيره في البيئة المحيطة، وتحددت الوجهة التي يوليها المجتمع في حياته الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية. ذلك في كل زمان وبقدر هذا الإذعان الداخلي. نعم، المجتمع -من كل الوجوه- يحمل في سيماه خطوطا مهمة منه، ويُظهر الفن والأدب على محياه ألوان هذا المحتوى الداخلي وزخارفه، ويُسمَع ويُستشعَر في كل مكان بين سطور الوجود والأشياء صوت هذا المحتوى الداخلي ونَفَسُه وأداؤه، ويشجي كل شيء مرئي أو خافٍ أسماعنا بأنغام رائعة يلحنها لسان هذا المحتوى الداخلي الصامت بلا صوت ولا كلام".

إذن المطلوب هو الفعل المقرون بالإيمان والإخلاص. وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله

كولن: "لو أن المرء طلب الإخلاص واليقين في اليوم مائة مرة فما هو من المكثرين. لكن كيف ينبغي أن يكون الطلب؟ دعاءَ قول أم دعاءَ فعل؟ أرى أن دعاء الفعل هو الأصل، لكنه لا يمنع من دعاء القول. أما الأفضل فدعاء قول يلازمه دعاء فعل. وإذا كان لنصيحتي مكانة عندكم، فنصيحتي الأولى والأخيرة هي أن تطلبوا مرضاة الله تعالى. فقد تنسون طلب الجنة في دعواتكم أو الاستجارة من النار، لكن حذارِ أن تنسوا طلبَ الإخلاص واليقين بإلحاح؛ لأن الأمر لا يحتمل النسيان. إذا تلاشى الإخلاص وضاع اليقين لدى الفرد فقد تدحرج في فراغ مخيف؛ إذ أقواله لا تتجاوز حنجرته، وأفعاله لا تعبر عن أي معنى نبيل".

إذن مصدر الفكر التجديدي ومبدعه، الشيخ فتح الله كولن، يريد حركة مقرونة بإيمان وإخلاص ولا مفر أن يقوم عليها "حفنة من المجانين"، وفي هذا يقول أيضًا الشيخ فتح الله: "مجانينَ أريد، حفنةً من المجانين.. يثورون على كل المعايير المألوفة، يتجاوزون كل المقاييس المعروفة. وبينما الناس إلى المغريات يتهافتون، هؤلاء منها يفرون وإليها لا يلتفتون. أريد حفنة ممن نسبوا إلى خفة العقل لشدة حرصهم على دينهم وتعلقهم بنشر إيمانهم؛ هؤلاء هم "المجانين" الذين مدحهم سيد المرسلين؛ إذ لا يفكرون بملذات أنفسهم، ولا يتطلعون إلى منصب أو شهرة أو جاه، ولا يرومون متعة الدنيا ومالها، ولا يفتنون بالأهل والبنين... يا رب، أتضرع إليك... خزائن رحمتك لا نهاية لها، أعطِ كل سائل مطلبه، أما أنا فمطلبي حفنة من المجانين... يا رب يا رب...".

إن أهمية وتفرد هذه العلاقة بين الفكر والحركة في منظومة الشيخ فتح الله كولن (والتي محورها إعادة بناء "الإنسان الجديد") قد نوه إليها المستشار طارق البشري (المؤرخ والمفكر الإسلامي، ونائب رئيس مجلس الدولة المصري الأسبق) في المحاضرة الختامية للمؤتمر. حيث بدأها مؤكدًا أن الواقع هو مفتاح فهم المستقبل، وأن أسئلة الحاضر الممتد هي التي تصوغ رؤيتنا المستقبلية في الفكر والحركة. وأننا حين ندرس خبرات الإصلاح لا ندرسها لننسخها في بلادنا دون مراعاة لاختلاف السياقات الزمنية والمكانية والاجتماعية والثقافية، وإنما ندرسها للاستفادة منها مع مراعاة هذه الفروق الدقيقة؛ وأن مشكلة الأمة تتمثل في أن "أذرعنا لا تعمل جيداً، وأرجلنا لا تسير جيداً، وهي مشكلة حركية تتعلق بالقدرة على جعل أهدافنا تتوافق مع مصالحنا مادياً ومعنويًا".

وخلص المستشار البشري في نهاية محاضرته إلى أن مشكلتنا الحقيقية التي يعاني منها واقعنا الآن لا تكمن أبدًا في ضعف الأفكار، وإنما تكمن في ضعف التنظيم، وعلينا أن نواجهها بما يملك أصحاب القدرة على الحركة والتحريك من إمكانيات القيام بها.

الإشكالية الثانية: العلاقة بين الواقع والاجتهاد، الاستجابة لتحديات الواقع وإدراك ما يقدمه من فرص وما يفرضه من قيود وضغوط، دون التخلي عن الثوابت. وبينت حركة فتح الله كولن وفكره الارتباط الوثيق بالواقع المحيط ومن ثم عدم الاكتفاء بالأطروحات الفكرية والنظرية، ولكن التوجه إلى وضع خطط وبرامج عملية للالتحام بهذا الواقع من أجل تغييره وفقًا للمرجعية الإسلامية وباجتهاد وتجديد في الطرائق والسبل بما يستجيب للإطار الوطني والإطار العالمي ولا يبقى دعاوى الإصلاح حبيسة الآمال والأحلام أو فريسة الصدام والتصفية. وفي هذا يقدم فتح الله كولن في مقاله "الإنسان الجديد" (مارس ١٩٩١) تحليلاً واعيًا بمسيرة تاريخ الإنسانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، مبشرًا بأن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن الإيمان والمؤمنين وعصر انبعاثنا ونهضتنا من جديد. كما يقدم في مقاله "نحو عالمنا الذاتي" (أكتوبر ١٩٩٣) تصوره عن كيف يمكن أن نفتح للعالم صفحة جديدة بالتوصل إلى تفسير جديد للكون من خلال الإحساس بالروح الإسلامي ومعناه. وهو يقول أيضًا في مقاله "نحو عالم الغد" (يوليو ١٩٩٣) "أن أساس حياتنا الروحية قائم على الفكر الديني... والذين

يختلقون صدامًا بين الدين وبين العلم والمحاكمة العقلية، هم بؤساء جهلوا روح الدين والعقل... لنضع جانبًا بلبلة التكوينات الجديدة في العالم، نحن لا نصدق بولادة شيء جديد من الكيان الرأسمالي القديم، أو أحلام الشيوعية أو تكسيراتها الاشتراكية أو هجينها الديمقراطية الاجتماعية، أو خرق الليبرالية التالية. الحقيقة هي أنه إنْ كان ثَمّ عالم مشرع الأبواب لنظام عالمي جديد فهو عالمنا نحن...".

إذن فإن "كولن"، ومنذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الشيوعية ودخول العالم مرحلة تحولات جديدة، قد أدرك حقيقة هذا الواقع وتهاوي فلسفاته المادية ودخول المجتمع التركي من ناحية -والمجتمع العالمي من ناحية أخرى- مرحلة مراجعة تستشعر فراغًا يتطلب من يملأه، وقدم فتح الله كولن اجتهاده الإسلامي ليس لتركيا فقط ولكن للعالم كله.

الإشكالية الثالثة: العلاقة بين الداخلي (الوطن) والبيني (الأمة الإسلامية)، والخارج (العالم). فالإصلاح في العالم الإسلامي خلال المرحلة الراهنة من تطوره يواجه تحديات العولمة وتزايد اختراق الخارجي للداخلي؛ بحيث لا تنفصل معطياته الداخلية عن هذه التحديات، وقدمت حركة كولن استجابة لمتطلبات المجتمع التركي في علاقته بالدولة، كما مثلت وعيًا بأن الداخل التركي جزء من الأمة الإسلامية، وأن على تلك الأخيرة واجب نحو الإنسانية والعالم لإيجاد حل لأزمة الحضارة المادية؛ ومن ثم تقدم بديلاً للإنسانية من مرجعية إسلامية.

فباستقراء تاريخ حركات الإصلاح الإسلامي، وتيارات الفكر الإسلامي، خلال القرون الثلاثة الأخيرة، على الأقل، يمكن ملاحظة أنه كان لها امتداداتها خارج نطاق ظهورها، وأنه كان لها انعكاسات في دوائر ومستويات متداخلة، إلا أنه في ظل العولمة وثورة المعلومات وفي ظل التكالب الاستعماري الجديد على العالم الإسلامي، وفي ظل تدفقات هجرة المسلمين إلى الغرب وتبلور الوجود المسلم في مجتمعاته، أضحى للفكر الإصلاحي والحركات الإصلاحية الإسلامية امتداداتها الطبيعية في الغرب أيضًا، وليس في أرجاء العالم الإسلامي فقط.

وإذا كان الداخل التركي قد مارسَ تأثيره على ما تواجهه هذه الحركة من فرص وقيود، فمما لا شك فيه أن الاهتمام المتنامي في الغرب بفكر الأستاذ فتح الله كولن وحركته، وتصنيفها بأنها تعبير عن نمط من إسلام ليبرالي أو إسلام حداثي وعلماني يحقق الالتقاء بين العالم الإسلامي والغرب له دلالات أخرى.

هذا النمط من الاهتمام الغربي أثار تساؤلات، وأحيانًا شكوك واتهامات حول "الثابت والمتغير" في اجتهاد هذه الحركة التجديدية الإصلاحية، وهو أمر تكرر ظهوره مع جميع حركات الاجتهاد والإصلاح خلال قرون ماضية، وهذا ما نوّه إليه كلٌ من الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد سليم العوا خلال المؤتمر.

الإشكالية الرابعة: مدى تحقيق الانسجام بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية لخبرات الإصلاح من أجل تحقيق هدف النهضة.

إن كان الغرب قد درَجَ على تصنيف حركات الإصلاح وتيارات فكره الإسلامي بقدر ابتعادها أو اقترابها من نموذجه، ومن هنا كانت تصنيفات المعتدل، الراديكالي، الحديث، السلمي، العنيف... فإن تصنيفات أخرى في العالم العربي والإسلامي قد درجت على التصنيف وفق مجال الإصلاح. ومن هنا برزت ثنائية ما هو سياسي، وما هو لاسياسي، وفقًا للمفهوم الحداثي الوضعي العلماني للسياسة، باعتبارها صراعًا من أجل السلطة والحكم بالأساس، كذلك برز الفصل بين جوانب الحياة، كما لو أن الإصلاح يمكن أن يتحقق على جانب تاركًا الآخر. في حين أن الحقيقة أمر آخر، ألا وهي أن جميع مجالات الحياة -وفق الرؤية الإسلامية- تتحاضن وتصب في بعضها البعض، وإن كان الأمر يقتضي اختيار منطلق للبداية. ويظل منطلق إعادة بناء الإنسان اختيارًا لابد أن يقود إلى الاختيارات الأخرى.



وإذا كان قد شاع عن الشيخ محمد عبده مقولته الشهيرة "لعن الله السياسة" فلابد وأن نستحضر أيضًا قوله –غير الشائع- أنه بدون تربية وتعليم ستتكرر الانقلابات والثورات بلا نتيجة. بعبارة أخرى، إذا كان قد ركز الغرب والمسلمون على الإسلام بوصفه قوة سياسية وجهادًا عسكريًّا، إلا أن تلك القوة لم تتحقق، ولن تتجدد بدون النهوض بالإنسان ابتداء؛ أي ما أسماه الشيخ فتح الله كولن "الجهاد المعنوي". وأرى أنه الأساس للإسلام الحضاري الشامل لكل جوانب الحياة وليس مجرد ما يسمى الإسلام السياسي أو الإصلاح التربوي أوغيرها من التصنيفات الجزئية.

فيقول الشيخ في مقال "الشعور بالمسؤولية" (يوليه ١٩٩٥):

"لقد كان لكل عصر كرامة. فولدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد كثير من أقوام الترك إلى الحياة كَرَّة أخرى بالإسلام في القرن العاشر الميلادي، وانشقت بالاستحالة شرنقة عن فراشة في "سوكود" في القرن الرابع عشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. وسيدور هذا التكون الجديد الذي يغير وجهة تاريخ العالم ومسيرته، في أفلاك الروح والأخلاق والعشق والفضيلة. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل أيضًا، سنلم شعث أشلاء "أمتنا" المباركة الممزعة البئيسة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راعٍ ولا غاية حتى اليوم في ظل الفكر، فتعيش "الانبعاث بعد الموت" من جديد من نشوة الوصل بـ"لواء الحمد".

كذلك يقول الشيخ في مقال "الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي" (أبريل ١٩٩٩):

"إن الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولد ابتداءً في ذات الإنسان، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنبسط إذا وجدت المناخ الملائم للنمو

والتطور. فكذلك أيضًا العبادات والأخلاق والحياة الروحية والثقافية والمناسبات البشرية الأخرى كافة يُستَشعَر بها بداية في عمق الإنسان إيمانًا وإذعانًا، ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسربل بصبغتها التصرفات البشرية كافة، فتكون مُعينا ومُوَجِّها أساسيًا لكل همة وحملة وحركة وفعالية، مشعرًا بنفسه وبوجوده في كل الأحوال... ومن الحق أن حقيقة الإيمان المتأصلة في عالمنا الداخلي، إنما تديم وجودها بقدر تناميها وتوسيعها في الحياة الواقعية... فإذا بُذرت بذور الإيمان وترعرعت واخضرّت في القلوب، ثم تحولت إلى استقامة ووثوق في التصرفات، وانقلبت إلى وقار وخشوع في الصلاة، ورفدت وازع الحقانية والعدل في علاقاتنا الاجتماعية؛ فذلك يعني أن الأفق منبسط أمامه إلى اللانهاية للتطور والتوسع".

خلاصة القول

لقد قدمتُ مجموعة النتائج العامة السابقة مقرونة باستشهادات من فكر الشيخ فتح الله كولن، وذلك ليس إلا لمجرد ضرب الأمثلة من الخريطة العميقة لفكر هذا الشيخ المصلح. حرصت على هذا لبيان أن المؤتمر، مهما كانت دلالاته، إلا أنه لم يستطع أن يقدم قراءة عميقة في خرائط فكر الإنسان، الشيخ، العالم، المفكر، الفقيه، المصلح، الناشط، الصوفي،... فتح الله كولن، وتجلياتها العملية في مجالات الحركة الإصلاحية، سواء داخل تركيا وخارجها، في أنحاء الأمة الإسلامية، وبقية أرجاء العالم. كما لم يستطع المؤتمر بالطبع أن يعكس حقيقة جهود المنتمين لهذه الحركة، ومدى ما يمثله الفكر والحركة من جديد أو من استمرارية مقارنة بخبرات إصلاحية أخرى في العالم الإسلامي.

ولقد أجمعت الشهادات التي قدمها في الجلسة الختامية للمؤتمر كلّ من الدكتور حسن أبو طالب، الدكتورة ناهد عز الدين، الدكتورة هبة رؤوف، الدكتورة هدى درويش، أستاذ عصام سلطان على هذا. حيث ركز الدكتور حسن أبو طالب على اهتمام الحركة بتقوية الروح والنفس، مع اهتمامها بالتنظيم وإقامة المؤسسات والابتعاد عن الشخصنة. أما الأستاذ عصام سلطان، فأشار إلى إيمان الحركة بشمولية الإسلام والتخصص في العمل. أما الدكتورة ناهد عز الدين، فأشارت إلى اهتمام الحركة بالشباب وتناولت مفاهيم أساسية في الحركة وهي: الخدمة، والهمة، ومفهوم "المتولي" الذي يقتدي به الطلاب. وأشارت الدكتورة هبة رؤوف إلى أن هناك "روحًا تسري" في الحركة تفسر ما يقوله البعض عن الحركة بأنها تنظيم ولا تنظيم. وركزت على "الأدب" الذي تتسم به الحركة وأعضاؤها حيث الحرص على استعادة البعد الأخلاقي في بناء الإنسان. كما استعرضت الدكتورة هدى درويش بعض المبادرات والأنشطة التي قامت بها الحركة. أما الدكتور يوهان (أكاديمي ألماني)، فركز على كيفية تعامل الحركة مع أسئلة: لماذا نصلح، وما الذي نصلحه، وكيف نصلحه؟ كذلك أبرزت هذه الشهادات الحاجة إلى مزيد من الانفتاح والتفاعل العربي التركي مع الأخذ في الاعتبار خصوصيات الأطر الداخلية لكل من الجانبين.

هذا ولقد ركزت محاضرة المستشار طارق البشري في ختام المؤتمر على مدلولات خبرة العلاقات العربية التركية التاريخية بالنسبة لواقع هذه العلاقات ومستقبلها. فلقد شدد البشري على أهمية التجربة العثمانية، ولفت الانتباه إلى أن فترة الحكم العثماني للدول العربية كانت المعوق الرئيسي لتجدد الحركة الصليبية في منطقتنا، لأنه على مدى التاريخ كان خط الدفاع الرئيسي لهذه المنطقة يتكون من نقاط ثلاث: دمشق، القاهرة، الحجاز، وما من دولة رمت إلى الوحدة والنهوض إلا وسعت إلى التكامل مع هذه النقاط التي تحولت إلى "سور الإسلام العظيم" بانضمام إسطنبول والأناضول، فأصبح هذا السور خطاً رادعاً لأية أطماع خارجية.

وعرض المستشار البشرى لبعض المحطات المهمة في علاقة مصر والحركة الوطنية المصرية بالدولة



العثمانية: فبمعاهدة لندن ١٨٤٠ صار لـ"مصر" تاريخ شبه مستقل عن الدولة العثمانية حيث ضعف التأثير المتبادل، لكن الصلات الحضارية لم تنقطع بين إسطنبول والقاهرة. وظلت الحركة الوطنية المصرية تستقوي معنويًا بالدولة العثمانية ضد الاستعمار حتى عام ١٩١٤. وبعد معاهدة "لوزان" ونجاح أتاتورك في تركيا تعاطف معه المصريون العلمانيون.

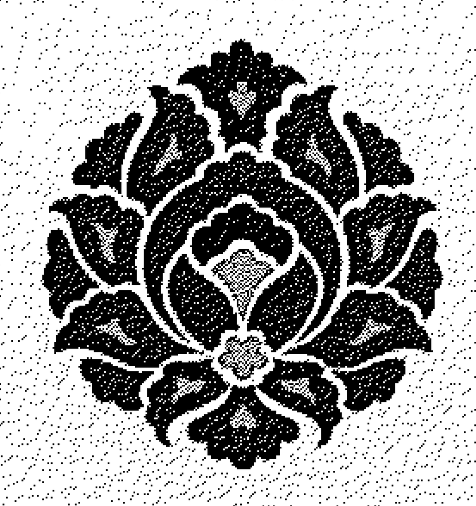
وبعد ثورة ٢٣ يوليو، اتجهت تركيا إلى حلف الأطلنطي لتأمين حدودها من الخطر الروسي الذي يهدد الأمن القومي لها، في حين كان الخطر الذي يواجه مصر هو إسرائيل مما أدى إلى توتر العلاقات مع الغرب الداعم لها. وأشار إلى أن الدرس المهم هنا هو أن تقسيم بلداننا إلى أقطار صغيرة أدى إلى تباين السياسات في حفظ أمن الجماعة الذي هو الوظيفة الأولى للدولة.


وفيما يخص مستقبل العلاقات العربية التركية، أكد المستشار البشري على ضرورة دراسة الأوضاع الأمنية العامة والمشتركة للخروج باستراتيجية واحدة جامعة.

تناول البشرى مشكلة التجزئة والتقسيم وأشار إلى أن الأمة كانت دولة واحدة في عهد النبي ﷺ، ثم تحولت إلى دولتين في العصر الأموي والعباسي، ثم إلى ثلاث في العهد العثماني والصفوي والمملوكي، ثم تناثرت إلى ما آلت إليه الآن، وأن هذا التقسيم لم يعكس مصالحنا، وإنما عكس مصالح الدول الغربية والاستعمارية

داخل بلادنا، حيث وضعت حدود مصر الحديثة في مؤتمر لندن ١٨٤٠، وحدود الشام في مؤتمر "سايكس بيكو"، وحدود إفريقية في مؤتمر "برلين". وأشار إلى وقوف كثير من الدول الغربية في وجه أي محاولة عربية للوحدة ولو بين دولتين إما بالمؤامرة أو بالغزو المسلح. ومشكلة التجزئة هذه تعاني منها أيضًا الحركات الإسلامية التي لابد أن تكون اندماجية وليست مفتتة. فحل مشكلة التجزئة يكون بالتآزر.

وإذا كان المؤتمر على هذا النحو بمثابة تعريف بالشيخ "كولن" والحركة وموضعهما من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي الآن، إلا أن الأمر يستلزم متطلبات أخرى بعد المؤتمر، وذلك على ضوء القضايا الكامنة في البحوث وفي المناقشات والتي تهم جمهور المسلمين، وتثير خلافاتهم، كما تبرز طموحاتهم وهم يسعون إلى إصلاح أحوالهم من داخلهم ابتداء، وتحت ضغط وتأثير الخارج وتدخله. ومن أهم هذه القضايا: الشورى، تطبيق الشريعة، الدولة الإسلامية، الخلافة، الجهاد، وحدة الأمة. إن العلاقة بين جميع هذه القضايا وبين عملية التربية الإيمانية والوجدانية والفكرية التي تمثل المنطلق والأساس يشع آثاره على جميع مجالات الحياة، تلك العملية التي تقع في قلب فكر الشيخ "كولن" وحركته، وكيفية تأثيرها على المجتمع والدولة في تركيا، ما زالت تستدعي منا مزيد تدبر لنؤصل مفهومًا جديدًا من "السياسة" المأمولة في العالم الإسلامي؛ وهي السياسة التي يقع في قلبها "الإنسان الجديد" كما قدمه الأستاذ فتح الله كولن وكما تبذل الحركة "الخدمة" للوصول إليه، إحياءً وتجديدًا للأمة وللإنسانية.

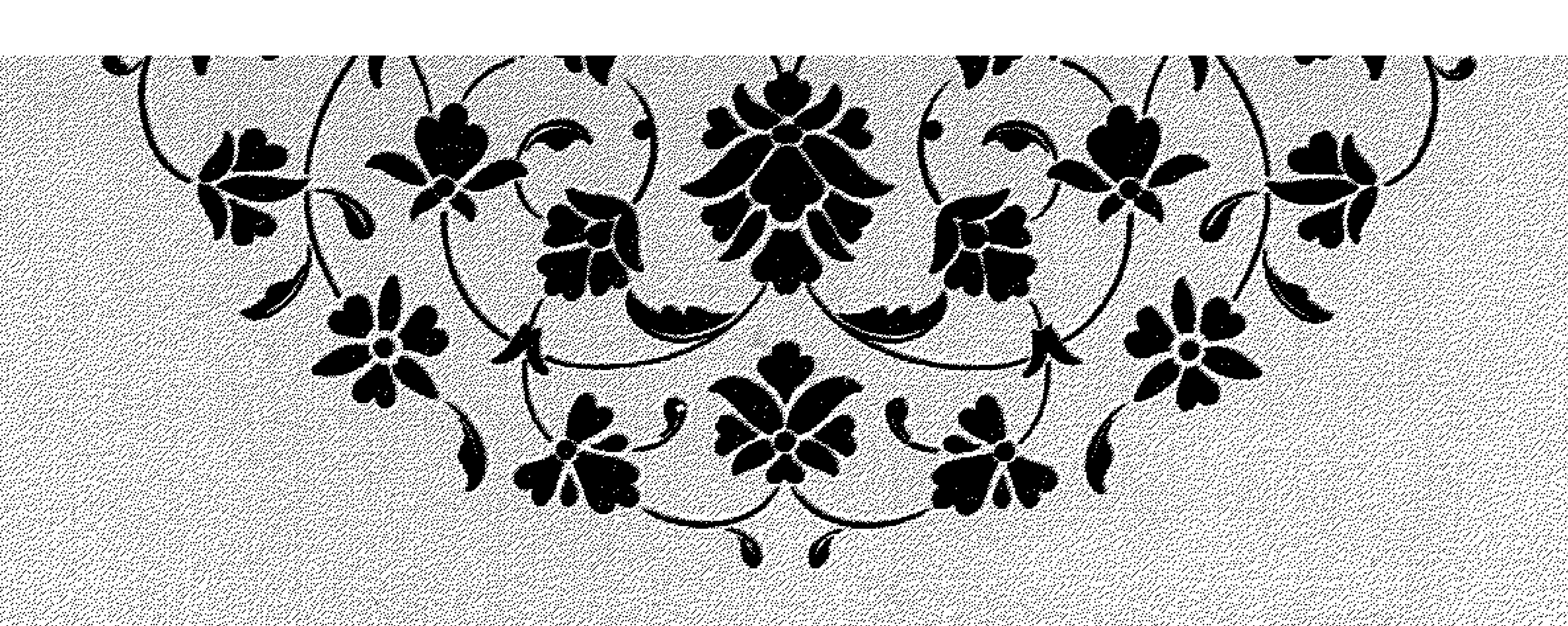




د. سيف الدين عبد الفتاح / مصر



د. سمير بودينار / ا
د. ليونيد سكيانان /



مقتبسات

من أروقة المؤتمر

د. سمير بودينار، مدير مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بـ"وجدة" / المغرب

إن "حركة" الأستاذ فتح الله كولن ليست في الواقع حركة مركزية عضوية، ولا تنظيما ولا جماعة أو طريقة، حيث يفسر الأستاذ كولن نفسُه المسارَ الذي مضت عليه دعوتُه وتأسيسُ المؤسسات الكثيرة بتأثير من تلك الدعوة بأن ما فعله هو أنه اقترح على الناس فكرة وأنهم يطبقونها بناء على "معقولية الفكرة". والدليل الواقعي على ذلك هو أن الرابط بين كافة مؤسسات تلك الحركة -بما فيها مؤسسات التعليم- هو الفكرة وحدها مع استقلال كل مؤسسة منها بشكل كامل.

إن المنظور الذي يحكم المنهج الإصلاحي للأستاذ "كولن" يقدم إطارا فكريا لحقل التعليم، وذلك في مستويات ثلاث تمثل مفاتح في فهم خصائص المنظومة التربوية وعناصر نجاحها في عالم اليوم. وهذه المستويات الثلاث هي: خاصية الإنسان وبشكل أدق ما يسميه الأستاذ كولن "الإنسان الجديد"، وخاصية الإسلام، وخاصية المرحلة أو العصر. وتكمن أهمية هذه المستويات الثلاث في كونها العناصر الأساسية لفهم منظور الأستاذ "كولن" الإصلاحي الشامل، بما في ذلك مجال التعليم، وبالتالي فإن أي محاولة لفهم مشروعه الدعوي وتجلياته في حقل التعليم خاصة، لا يمكن إنجازها بمعزل عن إدراك تلك الأضلاع الثلاثة لمنظومة التغيير وفق ذلك المنظور.

أصبحت شبكة المدارس الواسعة التي أنشأها محبّو الأستاذ "كولن" في مختلف أنحاء العالم تحقق مستويات عالية في مستويات



د. عمار جيدل / الجزائر

التكوين والمردودية التربوية. وتبعا لذلك أصبحت السمعة العلمية لبعض هذه المؤسسات تضاهي في سمعتها الأكاديمية بعضا من أعرق المؤسسات التعليمية في العالم. وإذا كان هذا الأمر مفهوما في بعض الدول النامية من العالم الثالث (تم منذ ثلاث سنوات في "ليبريا" فتح مدرسة وفي السنة الثانية أصبحت أحسن مدرسة في البلد)، نتيجة لحمل خبرات في التعليم من مختلف دول العالم؛ فإن الأمر لم يختلف كثيرا في دول معروفة بسعة تجربتها في مجال التعليم بما في ذلك تركيا نفسها المعروفة بجودة بعض مؤسسات التعليم فيها بشكل عام. وحين تتم دراسة تجربة هذه المدارس عن قرب فإن أهم الخلاصات التي يخرج بها الباحث أن لهذا النجاح أسبابا لا أسرارا، بمعنى أن هذا النجاح فضلا عن النموذج الإنساني المتميز الذي يقف وراءه بجد واستماتة منقطعة النظير، فهو نجاح مستحق لجهد من الإعداد الفني والاستعانة بكل ما قد يساعد عليه من أسباب ووسائل وخبرات وتجارب، سواء منها ما يتعلق بالمستوى المادي من حيث البناء والتجهيز، أو ما يتصل بالأطر التربوية والإدارية، وخاصة معايير الاختيار ومسارات التكوين المستمر للمدرس، أو متطلبات العملية التعليمية من وسائل ومناهج.

د. عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر / الجزائر

حركة فتح الله كولن ليست تنظيما بالمعنى المشهور المتداول في الفضاء الحركي الإسلامي، ولكنّها في الواقع "فكرة" قوامها فلسفة واضحة بيّنة عمدتها تشجيع ثقافة "الخدمة الإيمانية"، وكلّ ما أُسِّس (مدارس، جامعات، أسواق، مصانع، شركات، مستشفيات، مؤسسات إعلامية...) بناء عليها وفي مختلف الحقول (التعليم، التجارة، الصناعة، الإغاثة، الطب، الإعلام..) لا يربطه بباعث الفكرة في المجتمع التركي رابط تنظيمي عضوي، بل لتلك المؤسسات في إطار فكرة "الخدمة" مطلق الحرية في التحرّك في الفضاء الذي تتحرّك فيه، وفق ما يسهل لها عملية التكيّف التنظيمي والقانوني مع المعطيات القانونية التي تحكم المكان والزمان الذي تتحرّك فيهما مؤسسات "الخدمة". تقوم حركة فتح كولن على فكرة مركزية تُعرَف في أدبيات الحركة بـ"الخدمة الإيمانية". والخدمة الإيمانية فلسفة حركية مهمة ودستور للحياة، تجعل المؤمن في حركية دائبة؛ فهو في حركة عندما يعمل، وفي حركة عندما يرتاح.. الخدمة دعوة حركية شاملة تستغرق الإنسانية والأسرة والمجتمع والفرد في تكامل دائب. لهذا من مظاهر الخدمة أن نرى في العالم كلّه، وقبل ذلك في قرانا وأريافنا وقصاباتنا عاملين على خدمة الخلق من منطلق إيماني. وإذا فرغنا مما بين أيدينا من خدمات، تعلّقت هممنا باكتشاف نوع أو مجال آخر للخدمة. لهذا فإن فكرة "الخدمة الإيمانية" حركية تتحرّك في شعاب الحياة؛ فهي فكرة للتحقق والتحقيق، وليست فكرة للتداول الأدبي أو الوعظي بقدر يطلب أن تكون في التفاصيل اليومية لحياة الناس.

إذن، هناك أفكار مفتاحية في الأستاذ "كولن" وهي أن الحركة ليست تنظيما، بل هي "فكرة". وعندما نقول فكرة، فهذه لها دلالاتها العميقة؛ فهي غير قابلة للاستنساخ، بدليل أن الرجل لا تربطه أي علاقة تنظيمية عضوية بينه وبين مجموع المدارس والمؤسسات المعبرة عن هذه الفكرة في فضاءات كثيرة، فكيف لنا أن نتحدث عن الحركة بالمعنى التنظيمي؟ إذن هي فكرة بالدرجة الأولى. لهذا فهو يعمل على إدخال الأمة جميعها في دائرة تسمى دائرة "الخدمة"، من دائرة فارغة إلى دائرة الخدمة. فإذا دخل الناس إلى رحاب دائرة الخدمة، فدائما يبحثون عن رحاب جديد من أجل أن يجسدوا الفكرة. عندما يمتلئ القلب بالخدمة الإيمانية يصبح فيها التعب كأنه مقصود، إذ عندما يكون الهدف عظيما جدا يخفف عليك التحمل، لذلك الأستاذ "كولن" يريد أن يربط الأمة بفكرة مركزية هي فكرة "الخدمة الإيمانية"، أي أن يتحرك كل إنسان في الفضاء الذي هو فيه من أجل الخدمة

الإيمانية. وإذا أردت أن تحصول فكرة الرجل لقلت فتح الله كولن يساوي الخدمة الإيمانية. فضلا عن ذلك، الأستاذ "كولن" يقر بأن الخدمة الإيمانية طريق عمومي، لذلك هو يشجع كل من سلك هذا المسلك، لأنه مسلك عام، ولا يريد أن يكون بديلا عن أحد، ولا بديلا لأحد.

د. أماني صالح / مدرّسة العلوم السياسية في جامعة مصر الدولية / مصر

إن سيرة الأستاذ فتح الله كولن تؤكد بما لا يدع مجالا للشك قضية محورية في المنظور الإسلامي وهي الصلة الوطيدة بين صلاح الفرد وصلاح الأمة. إن صلاح الأمة يبدأ بصلاح الفرد قائدا، وينتهي بصلاح الأفراد من آحاد الناس. ومدخل صلاح الفرد المؤدي إلى صلاح الجماعة هو درس إسلامي أصيل بدأ بسيرة الرسول ويمر بعشرات السير الرائعة إلى سيرة الأستاذ "كولن" التي نتعرف عليها اليوم. سيرة الأستاذ "كولن" تثير قضايا تربوية عديدة في زمن صار فيه الجميع ينعى أجيالنا الصاعدة؛ ومن بين تلك القضايا محورية المثل الأعلى في بناء وجدان ونفسية وطموح الأطفال والشباب.

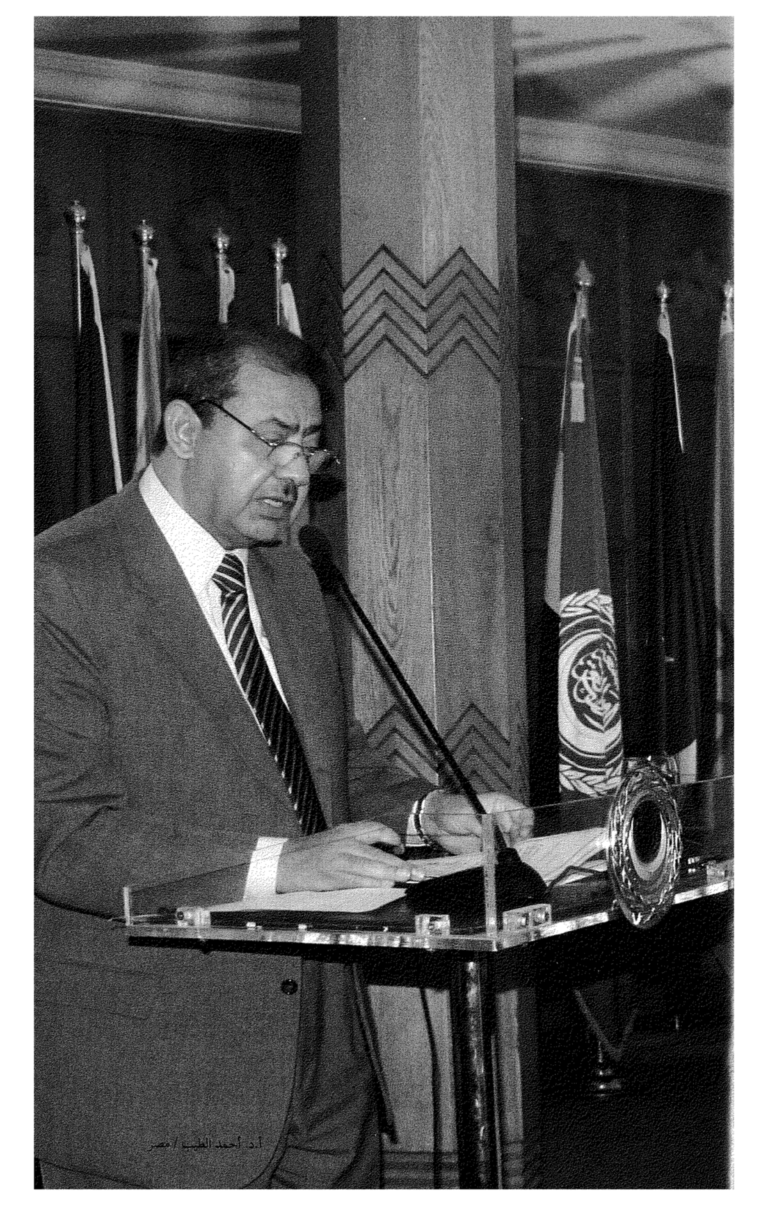
د. إبراهيم البيومي غانم، أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة / مصر

مبلغ القول أنني حاولت أن أرسم -بالكتابة- بعض الملامح العامة لرجل يلقبه الأتراك "خوجة أفندي" (السيد الأستاذ) تعبيراً عن عميق تقديرهم واحترامهم له، ونادراً ما يستخدمون لقبه العائلي "كولن"، الذي يعني بالعربي "البسّام"، وأكثر ما يثير الدهشة هو أنك ترى البسمات والضحكات لا تفارق محيّا تلامذته ومحبيه، وهم يعملون ليل نهار بجد وعزيمة لا تفتر؛ أما حضرة "خوجة أفندي البسّام" فلا يزال يبكي بعد أن جاوز السبعين بكاءه وهو في العشرين؛ يبكي أحوال أمته والإنسانية، ولا يزال يتضرع إلى الله تعالى ويسبح بحمده، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً.

يحرص تلامذة الأستاذ فتح الله كولن ومحبوه على إنكار ذواتهم عند الحديث عن "الإنجازات" التي يحققونها في شتى المجالات داخل تركيا وخارجها، ويرون أن الفضل بعد الله ﷻ، إنما يرجع إلى توجيهات وإرشادات "خوجة أفندي"، أي الأستاذ كولن. بينما يرى هو عكس ذلك، ويؤكد على أن الفضل لله أولاً وأخيراً، وأن من كرم الله عليه وعليهم، قيامهم (هو وهم) بالخدمة. وتشمل هذه الإنجازات عشرات، بل مئات "المؤسسات" والمشروعات والبرامج التي تغطي مجالات: تربية النشئ وتعليمه، والإعلام والفنون والتثقيف العام، والعلاج والرعاية الصحية، ومحاربة الفقر ومساعدة ذوي الحاجة، وأعمال الإغاثة والمساعدات الإنسانية، والحوار بين أتباع الديانات وأبناء الحضارات والثقافات المختلفة.

د. أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر / مصر

الأمر الذي لا ريب فيه هو ضرورة التجديد، بحثاً عن الإجابة على أسئلة من قبيل مَن نحن؟ ومَن الآخر؟ وكيف نحاوره ونصمد أمامه؟ ولعل مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة يجد متسعاً في رحابه لانطلاقة موفّقة في



أ.د. أحمد الطيب / مصر

مجال مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، والبحث في حركة الأستاذ فتح الله كولن التركية، ولعله يجد فيها المفتاح الضائع لهذه القضية المغلقة التي قد ضلّ مفتاحها.

د. محمد عمارة، المفكر والكاتب الإسلامي / مصر

لأن العقل -في حضارتنا الإسلامية- هو نور أودعه الله في القلب.. ولأن العلامة الأستاذ فتح الله كولن هو ثمرة طيبة من ثمرات هذه الحضارة، فلقد جمع بين حكمة العقل وبصيرة القلب...

ولأن القرآن الكريم هو الذي صاغ منهاجه في الفكر والحياة، فلقد صار كلمة طيبة، أصلها ثابت، وفروعها ممتدة، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله...


ولأن الوحي القرآني قد قرن دائمًا بين الإيمان والعمل، فإن كلمات هذا العالم الربّاني قد تجسّدت -به وبإخوانه الكرام- أبنية شاهقة، وحياة خصبة، تزدهر بها كثير من بقاع هذا الكوكب الذي نعيش فيه. مدّ الله في عمره... وبارك في عطائه... ونفع به... آمين.

عبد الله محمد عرفان، كلية التجارة، جامعة الأزهر / مصر

يقترب الشيخ فتح الله كولن من معالجة قضية التنمية والفقر بمقتربات غير تقليدية من جهة شمولها وفعاليتها وحركيتها، فهو يقوم في البداية بإعادة تعريف الفقر بإدماج الأبعاد المعنوية والروحية والفكرية به، ليحقق التوازن بين الروح والمادة، ويصبح مثلما هناك فقر في المادة، يكون هناك فقر في الروح كما قد يكون هناك فقر في الفكر أيضًا. وكما أن فقر المادة بحاجة إلى مكافحة وتنمية، فإن فقر الروح والفكر بحاجة إلى تنمية أيضًا. ويحدد "كولن" المشكلة في الأفكار وفي علاقة الأفكار بالحركة، ولهذا فإنه يحاول أن يعيد جلاء أوجه الفعالية في المفاهيم الإسلامية التي ألهبت قلوب الصحابة الكرام وألهمت فكرهم وحرّكتهم فحققوا ما حققوه من مجد وعظمة خالدة، مثل مفهوم الاستخلاف والتدبر والفهم والجهاد والقدر والإرادة والمسؤولية والتضحية؛ فمن خلال شعور الإنسان بحقيقة استخلافه في الأرض وحقيقة دوره فيها وعلاقتها بالآخرة، تنضبط علاقته بالكون بكل مشتملاته من بشر وحيوان وجماد. كذلك، فإنه يشعر بالحاجة إلى التدبر والفهم لهذا الكون بغرض التعرف على الله ﷻ وبقصد التعمير في الأرض، ويتطلب هذا جهاد مستمرًا وواعيًا للنفس، ومجاهدة مستنيرة للصعوبات والمشاق ومحاربة للكسل والدعة بقوة الإرادة التي تتغذى دومًا بمزيد من الشعور بالمسؤولية تجاه النفس والعالم.

د. ناهد عز الدين، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر

الحركة التي أسسها فكريا وحدد لها خط السير والمنطلق والمنهج والمرجعية الأستاذ فتح الله كولن، تتميز بدرجة رفيعة من التوازن. فهي تراعي بدقة وسلاسة معادلة الدين والدنيا، وتمزج بين الروحانيات والسمو الخلقي والمعنوي من جانب، والعقلانية والواقعية والمنطقية العلمية من جانب آخر، حتى يبدو كل من الجانبين وكأنهما جناحان متكاملان للحركة يجمعهما الانسجام والتآلف أكثر من التعارض أو التناقض. وكأن العلاقة بين الدين والعلم هي نفس



د. محمد عمارة / مصر

علاقة وجهي العملة الواحدة. والفضل في ذلك يعود إلى أسلوب الطرح ومنهجية التفكير وإعمال العقل التي اختارها المفكر المؤسس وأسهم في صياغتها من بين بدائل وخيارات أخرى عديدة كان من الممكن أن تقود من يأخذ بها لنتائج عكسية تماما.

على نفس المنوال، توازن الحركة -بعيار الذهب كما يقولون- بين الفرد والجماعة والمجتمع الأوسع. فكل يجد له مكانا ودورا، وكل يحمل أمانة؛ فلا فردية تذهب لحد الأنانية، ولا ترجيح لكفة الجماعة يقهر الفرد، ويلغي إبداعه، ويصادر على تميزه واستقلاليته وكرامته، ولا إغفال للمصالح العليا للسياق المجتمعي الأوسع الشامل والمحيط بكليهما. وقد تجلى ذلك عبر تسليط الضوء الكاشف عن الوجه الإنساني للإسلام، فهو إسلام الأمة وإسلام الجامع وإسلام الرسالة العالمية الموجِّهةِ خطابَها إلى البشرية بأسرها وإلى الجميع على السواء ودون استثناء، وقوامها الرحمة والعدل والتسامح ورحابة الصدر وسعة الأفق والعطاء والبذل بلا شروط ودون انتظار مقابل.

إجمالا، جاءت الحركة في وقتها المناسب والمثالي تماما لتملأ فراغا شاسعا، وتلبي احتياجا ملحا، وتطرح "البديل". والشاهد أنها تجربة حية، ومؤسسات تتحرك وتعمل كخلية النحل، وتوسع من دوائر ومساحات ورقعة حركتها لتغطي بقاع الأرض. وهي بذلك تحل عقدة غياب البديل الملائم، وافتقار البدائل المطروحة على الساحة للصلاحية والمواءمة والقابلية للتطبيق، والتي من شأنها أن تجعل تبنّي أي منها مخاطرة أو مغامرة غير محسوبة النتائج، فهي جميعها لم تغادر مرحلة كونها رهن الاختبار.

لفت أنظارنا كذلك مستوى النضج المؤسسي كملمح آخر مميز للتجربة وعلامة على تفوقها واجتيازها مرحلة التأسيس من أعلى والمبادرة الشخصية التي قام بها فرد أو مجموعة المحيطين به، وبلوغها محطة المأسسة بما يضفي عليها معالم الاستدامة والاستمرارية. فالمشروع الفكري أنجز استقلالية يعتد بها عن شخص الأستاذ المنتج له، وخرج عن نطاق الشخصانية (وهي مرض من الأمراض شبه المزمنة التي أصابت الحركات وعطلت المؤسسات في كثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية عن النمو والتطور فاختفت باختفاء الأب المؤسس) ليكتسب وجودَه وكيانه المستقل، ويستمد قوته من قوة الفكرة ذاتها، وليس من ذات المفكر. وعليه، لم يعد السؤال حول المآل مبعثا لكثير من اللغط، وليس ثمة غموض كبير يحيط باستمرارية التجربة وقدرتها على البقاء تحت أي ظروف أو مستجدات. فالمشروع ماض في طريقه ويزداد حضوره قوة أيا كان مصير الأشخاص، وهم في نهاية المطاف بشر زائلون.

د. عالية المهدي، عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر

يشدد العديد من المفكرين والمثقفين من المنتمين إلى الدائرة العربية والإسلامية على أهمية مراعاة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات التي تطبق فيها برامج الإصلاح، وذلك على ضوء برامج الإصلاح والتجديد التي يقدمها الفكر الإسلامي التراثي والمعاصر، وكذلك على ضوء خبرة الحركات الإصلاحية المتنوعة التي شهدها العالم الإسلامي عبر القرنين الماضيين، وتأثرت كل منها من حيث طبيعتها ونتائجها، بالزمان والمكان. وهنا مكمن التميز في دراسة حركة فتح الله كولن في النصف الثاني من القرن العشرين؛ فهي حركة اجتماعية ذات مرجعية إسلامية راعت مقتضيات الزمان والمكان، حيث نشأت في ظل نظام سياسي علماني، ولكن ساعدت الأطر القانونية والديمقراطية في تركيا في تحقيق فعالية هيئات المجتمع المدني باختلاف مرجعياتها. ومن ثم استطاعت حركة فتح الله كولن أن تقدم في هدوء وسلاسة أفكاراً عملية نجحت في تطبيقها داخل البلاد وامتد تأثيرها إلى الخارج؛ متحدية ومتخطية المعضلة الدائمة بشأن العلاقة بين الفكر والحركة، بين النظرية والتطبيق.



أ.د. طارق البشري / مصر

د. حسن أبو طالب، مستشار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام / مصر

عن حركة فتح الله كولن يمكن القول إنها تبدو كتنظيم وفي الوقت نفسه لاتنظيم. فمن شروط التنظيم الانضباط ووضوح القيادة، ومن علامات اللاتنظيم انفراط العقد وترهل القيادة، بل وغيابها. ففي حركة فتح الله كولن التركية لا يوجد تنظيم بحسب ما رأينا، بل حركة اجتماعية تقوم على مبادئ إيمانية نظّر لها وصاغها فتح الله كولن نفسه، واقتنع بها محبوه الذين أصبحوا مرجع النظام العام للحركة. إذن نحن أمام نظام متكامل فكري وسلوكي يتداخل مع درجة عالية من الانضباط ووضوح الدرجات في التعامل بين العناصر المشكلة للحركة والنظام معا. وفي أحد الأوصاف فهي شبكة علاقات ومؤسسات متداخلة ومستقلة في آن واحد.

جوهر الحركة في شقها السلوكي هو "الخدمة" -ذلك التعبير الذي صكّه الأستاذ كولن- والتي تستهدف تغيير أحوال البيئة المعاشة، وهي الجامع بين القادر والمحتاج، بين صاحب المال وصاحب الحركة وصاحب الفكرة. بهذا المعنى فإن الخدمة هي نظام التفاعل بين الفرد والجماعة والحركة؛ هي أساس التناغم بين الفرد كأحد أعضاء المجموعة وبين الهدف الأكبر وهو إصلاح حال الأمة الإسلامية على امتداد وجودها المكاني الجغرافي، كمقدمة لإصلاح حال الإنسانية. وكل من تعرفنا عليهم في "الخدمة" يشعرون بأنهم يؤدون رسالة إيمانية بالدرجة الأولى، واجتماعية مدنية بالدرجة الثانية، وأنهم جميعا أصحاب قدر واحد، ومن هنا حالة التضامن الشديدة بينهم.

في حركة "كولن" يعد مفهوم الحوار دعامة أساسية، ليس كلقاء عابر، بل كمنظومة عمل وحياة، وبما يعكس التعددية التي يحترمها الإسلام والتي هي سُنة من سنن الطبيعة التي خلقها الخالق سبحانه من أجل النظر والتدبر والتأمل في عظمة الخالق. ومن مؤسسات الحوار هناك "مؤسسة أبانت"، ووَقْف الصحفيّين والكتّاب، مع ملاحظة أن تركيا اعتادت لفترة طويلة العلمانية الإقصائية للدين، فكأن طرح الحوار كمبدأ ومأسسته هو من نوع التعامل مع العلمانية وتحييدها وصولاً إلى استيعابها في مرحلة لاحقة يحدث فيها التمكن، وهو ما نجد بشائره في المجتمع التركي الراهن.

كان يلح علينا أن نعرف هل تلعب الحركة في السياسة أو تتدخل في توجهات الناخبين، فقيل: "لا شأن لنا بالسياسة، نحن فقط نربي ونعلم ونتحاور ونترك الاختيار لكل فرد في "الخدمة" أن يصوت لمن يراه مؤمنًا وملتزمًا وقادرًا على خدمة الوطن والدين معًا". وتلك بدورها قمة السياسة لكن بلا استفزاز.

المستشار طارق البشري / مصر

إن المشكلة في عالم الإصلاح اليوم ليست عدم وجود الأفكار والمشروعات الإصلاحية، ولكن المشكلة في الحركة ذاتها، وتحويل هذه الأفكار إلى مشروعات عملية، وهذا ما يميز تجربة فتح الله كولن التركية.

د. فاتنة شاكر، أستاذة جامعية متخصصة في علم الاجتماع السياسي / السعودية

لا شك أن الأستاذ فتح الله كولن يدلنا على طرف الخيط... ولكن هل نحن مستعدون حقيقة أن نمسك به ونخوض التجربة... تجربة "التربية الوجدانية" و"الخدمة الإيمانية" كما يسميها هو؟

ويبدو دور التنشئة الاجتماعية واضحا وقويا في التكوين الإنساني والوجداني لشخصية الأستاذ "كولن".. كما وضحت أهمية التربية الوجدانية جنبا إلى جنب لدى الإعداد العلمي والفكري المنفتح على كل مجالات العلوم. هذا الإعداد وتلك التربية هي التي أنتجت إنسانا اتجهت كل مشاعره وحواسه ونبضاته فكرا وروحا صوب شخص "الإنسان الكامل". فتبدو شخصية الأستاذ كولن كشجرة طيبة.. ضاربة جذورها في أرض وزمن النبوة والصحابة، وممتدة إلى الفضاء الكوني الفسيح، تؤتي ثمارها لكل

من أمده الله بالاستعداد لتذوق هذه الثمار.

الدكتور محمد عمارة يرى في تجربة فتح الله كولن منعطفا تاريخيا مبشرا، وهي بالفعل كذلك. ولكن ما هو دورنا نحن الآن؟ هل سيقتصر على المؤتمرات والندوات؟ ما هي الخطوات التالية لهذا الملتقى الحيوي والملهم بالأفكار والمحرك للأمل الذي يكاد أن يطفأ في النفوس؟

إن الغرب يفتح ذراعيه لفكر وحركة الأستاذ "كولن" قبل العرب، لماذا؟ بعيدا عن نظرية المؤامرة التي نتخذها درعا للتقوقع، فلنجابه الواقع؛ إن الغرب يفتح ذراعيه لكل ما يمكن الاستفادة منه ماديا، علميا، فكريا، وأيضا روحانيا. والإنسان الغربي، وخاصة الأمريكي، يعاني من حيرة نفسية وفراغ روحاني كبير لم تشبعها المكاسب العلمية والمادية معا. ظل يبحث عما يملأ هذا الفراغ ويجلي هذه الحيرة. وقد وجدوا الكثير من الإجابات في عالم الأستاذ فتح الله كولن، كما وجدوها وما زالوا في فكر الإمام محمد عبده وغيره من العلماء ممن اجتمع لديهم العقل والوجدان معا. أرجو ألا نسجن أنفسنا في هذه الحركة والاكتفاء بوجودها، أو أن نرى فيها ردا لاعتبارنا الإسلامي المجروح. كما أرجو ألا نسجن هذه الحركة في جدود أطرنا الفكرية والنفسية المشبعة بالخوف والإحباط واليأس. أرجو أن تفجر الحركة فينا الطاقات، وتشحذ فينا الأمل واليقين بأن هذا القرن هو بالفعل قرن الإيمان. يجب أن يكون هذا القرن قرن إعادة اكتشاف الذات الإسلامية وابتكار رؤى مكملة للعمل والخدمة الإيمانية كمسلك خاص وعام.

د. جيل كارول، الولايات المتحدة

لقد أتيتُ من الغرب وأنا مهتمة للغاية بمعرفة كيف سيكون رد فعل العالم العربي لحركة الأستاذ "كولن" ومنظورهم عموما بشأن الغرب. لقد سمعت الأمس واليوم السابق كثيرا من المداخلات تعكس تشككًا من حركة "كولن" بسبب نجاحها في الغرب. وقد كنتُ شاهد عيان لعديد من المبادرات التي قامت بها الحركة في الولايات المتحدة، لأني كتبت كتابي الخاص بالأستاذ فتح الله كولن، وكان لي الشرف أن أتجول عبر الولايات المتحدة، وكندا، وأوروبا، وتركيا وأماكن مختلفة من العالم. ولكن خصوصًا فيما يتعلق بالمبادرات التي قامت بها الحركة في الغرب وفي ما يقارب (٤٠) مدينة بالولايات المتحدة وكندا وبعض أجزاء أوروبا. وعبر الأماكن المختلفة التي تنشط بها الحركة هناك، أود أن أوضح لماذا نجحت الحركة في الغرب.

أظن أن هناك تفسيرات تجيب على هذا التساؤل. وتلك التفسيرات تتعلق بمواقف الأستاذ "كولن" إزاء دور الدين وأهدافه، وكيف يحقق تلك الأهداف، باعتبارها أفكارا ذات أهمية مركزية لفكر الأستاذ "كولن". فهو يقول: إن الدين أيّ دين لابد أن يتوجه إلى الأبعاد غير المتغيرة من حياة الأفراد، تلك الأمور التي تتعدى حدود الزمان والمكان والخبرات البشرية النسبية. فهذا هو المجال الذي يتحرك فيه الدين ويتركز فيه. إن كل دين -بما في ذلك الإسلام- يقدم بالتأكيد خطوطا عامةً لكيفية أداء الدولة لأعمالها والهياكل السياسية بها، ولكنه لا يقوم بتقديم نموذج محدد وثابت للنظام السياسي يتعدى حدود الزمان ويصلح لكل المجتمعات، بل يقدم في المقابل خطوطا عريضةً، بناء على الطبيعة الأبدية وغير المتغيرة للخبرة الإنسانية. وهذا يوفر خلفية عامة من القواعد لعديد من الهياكل المجتمعية والسياسية تصلح لمختلف بقاع العالم ومختلف الأزمنة والمجتمعات البشرية، بحسب الظروف والملابسات والمحددات الثقافية النسبية التي نجد أنفسنا داخلها عبر الزمن.

وهذا ما يوضحه الأستاذ "كولن" بشكل صريح، فهو لا يتبنى بمحاضراته ومواعظه وكتبه المفهوم الغربي للفصل ما بين الدين والدولة، ولكنه مع ذلك، يتناسب فهمه لدور الدين مع نفس الأسلوب الذي يمارَس به في بعض المناطق بالغرب؛ فالغرب متنوع في داخله ولا يمثل كتلة واحدة صماء، كما هو الإسلام كذلك. فدور الدين في بعض المناطق


د. جيل كارول / الولايات المتحدة

في أوروبا شديد الاختلاف عن الولايات المتحدة، فهناك أنواع متعددة لممارسة "العلمانية"، وليس هناك نوع واحد من العلمانية. نجد مثلاً في فرنسا وفي فترة من تاريخ تركيا نموذجا مختلفًا للممارسة العلمانية باعتبارها فلسفة تشكك في الدين ابتداء، وتنتهي بالعداء له. لكن هذا النموذج ليس الوحيد القائم في العلمانية الغربية، وليس النموذج المطبق في الولايات المتحدة. فنحن لا نمارس هذا، بل نراه في المقابل أمرًا مشكلاً. إن الجذور الفلسفية لمفهوم العلمانية في الولايات المتحدة تعود إلى كتابات الفكر الإنجليزي "جون لوك" في القرن السابع عشر، وهو يرى أن الدولة والدين يعملان في مجالين أو مملكتين مختلفتين؛ فالدولة تتمثل أهدافها في حماية الأفراد من الأضرار وتحصينهم ضد الأعداء، والتفاوض حول معاملات الأفراد المالية مثل تحويل الملكية والأعمال التجارية، فهذا هو دور الدولة. ودور الدين هو أن يرشدنا إلى كيفية تحقيق "الخلاص"، ولابد أن نبقي المجالين منفصلين ليحقق كل منهما أهدافه، ثم نترك كلا منهما يتفاعلان حين يحيد أي منهما عن الطريق الذي يؤدي من خلاله مهمته.

هذا المنحى الفلسفي مختلف تماما عما عليه الحال في فرنسا وأثناء فترة من تاريخ تركيا، وقد حققت حركة "كولن" قدرا كبيرا من النجاح في الغرب لهذا السبب؛ وهو أنها تفهم أن دور الدين هو تزكية للأفراد، وأن هذا يحدث فقط حينما يعيش الناس - جماعات وأفرادا- هذا الإيمان/الفضيلة بشكل فعال. ومن ثم يقوم هؤلاء "المجانين" كما وصفهم أحد المشاركين بالأمس نقلا عن الأستاذ "كولن"، بتأسيس مبادرات للمجتمع المدني، وتوحيد الناس جميعا على مبادئ هي بالتأكيد فاضلة. فهذا هو الشاهد الحقيقي للإيمان، وهو ما يحفز الآخرين لتبني تلك القيم الإنسانية العميقة في قلوبهم وأفكارهم.

د. باكينام الشرقاوي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر

يقوم الحوار عند فتح الله كولن بشكل كبير على إعلاء قيمة التسامح وتخطي العقبات، ونسيان الماضي الأليم إذا كان هناك خبرات تاريخية كبرى، وهذا منهج للتقارب. وقد ينظر البعض إلى هذا المنهج على أنه منهج تقل فيه المصارحة/المكاشفة/الشفافية، ولكن إذا ما نظرنا إليه في إطار البيئة التي ظهر فيها والضغوط والقيود التي يفرضها المناخ التركي وأيضًا العلاقة مع الغرب بشكل عام، نجده في النهاية محاولة لتقريب الفجوة ما بين أطرافٍ للحوار ليسوا في النهاية متساوين في القوة. أعتقد أن منهج الحوار نفسه، والتركيز على التسامي على الخلافات مع التكريس على القاسم المشترك حتى ولو كان ضئيلا.. أعتقد أن هذا منهج هام جدا، بالذات في سياق معيّن يكون فيه الأطراف غير متكافئين بحساب موازين القوة بشكل كبير. كما أنه فكرة قائمة على الدعوة، ودائما فكرة الدعوة لا تسعى لهزيمة الطرف الآخر المتحاور وطرحه أرضًا، بقدر ما تسعى لإحداث عملية تغيير مشتركة ما بين كافة الأطراف طويلة المدى. ربما أنا أنظر نظرةً أخرى لفكرة التعايش، وأعطيها بُعدًا أكثر إيجابية؛ فهي ليست فقط عملية تعايش بين الاختلافات، ولكن أراها عمليةً طويلة المدى تسعى لإدخال الأفراد في عملية تغيير مشتركة على هذا الأمد من خلال تغيير هذا الواقع. يعني قراءته في البداية قراءة واقعية سليمة من أجل إنزال الواقع على الفكر حتى يأتي الفكر مواكبًا مع الواقع قادرا على تغييره فيما بعد.

أعتقد أن كلمة السر في نجاح حركة الأستاذ "كولن" ليس فقط في تبنيها لقيم الإخلاص والتضحية.. إلخ، فهي في غاية الأهمية، ولكن أعتقد أنها أيضًا في فكرة الموازنة بين كثير من الثنائيات التي تحكم حياتنا المعاصرة في العالم العربي بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، بين العلمي والديني، بين العلماني والديني، بين الشرقي والغربي، بين القلب والعقل، بين الوجداني والمنطقي.. فكرة التوازن ما بين هذه الثنائيات مع إعلاء قيمة العمل، أعتقد هذا هو مفتاح السر في تجربة "كولن"، وفكرة أن الحركية ربما تكون هي الدافعة للفكر، وأظن هذه نقطة تميز هذه الحركة بشكل أو بآخر.

طوال المؤتمر كثر الحديث عن أن هذه الحركة تبتعد عن السياسة، وأنها ترفض المنطق التفريقي النزاعي الصراعي الذي تمليه السياسة. هذا صحيح إذا ما تبنينا التعريف الضيق للسياسة باعتبارها الحكم، الدولة، الوصول إلى السلطة.. إلخ. ولكن إذا نظرنا إلى السياسة باعتبارها ما يرتبط بكل ما هو حياتي ويومي ويشكل النمط العام للحياة، فهذا هو ما أعتقد أنه السياسة، ولكن بمفهوم أشمل. ولو تبنينا هذا المفهوم، أرى أن هذه الحركة تتعامل بالسياسة. وفي النهاية إن التغيير يأتي من الفرد ثم المجتمع، ثم يخلق مناخا عاما؛ فالهدف ليس مخاطبة الدولة، ولا تغييرها، ولا تحديها، بقدر ما هو التأثير على المجال العام وتغييره بشكل تدريجي، وأنا في رأيي، هذه هي السياسة بمعناها الشامل والأوسع. عندما أقرأ الأخبار والتطورات في تركيا، أجد نفسي أمام سيمفونية رائعة، وكيف أن هذه الحركة توازن ما بين الواقع والفكر. في رأيي إنها ممازجة تقود إلى تغيير المناخ العام في تركيا، هي لا تطمح إلى أهداف صادمة أو طموحة أو راديكالية بقدر ما تسعى في هدوء وسلاسة وذكاء وحكمة وصبر إلى خلق مناخ جديد. ولا يجب أن نهوّن من فكرة خلق المناخ، فهو بداية لتغييرات هامة.

أيضًا تقديم الأستاذ "كولن" لرؤية أشمل؛ مثلاً يعتمد المفاهيم التي يتبناها الآخرون، ويبدأ في إعطائها مضامين جامعة بينه وبينهم؛ فكرة الديمقراطية، فكرة الحداثة، والتحدث عن الديمقراطية على أنها نظام رفيع، ولكنها في النهاية تحتاج إلى الإسلام، لأن الإسلام أقدر على تلبية الاحتياجات الروحية، فهو مكمل للديمقراطية؛ وفي الواقع السياسي أن الديمقراطية هي التي حمت الإسلام وحمت المشروع

الإصلاحي بشكل كبير؛ كذلك حديثه عن الحداثة وأنها تحتاج إلى الدين في المجال العام، وليس العكس كما يروّج العلمانيون، حيث يحرر الدينُ الإنسانَ من عبودية المادة.

نلاحظ أن علمانية الدولة التركية تسير في اتجاه تطور نحو الليبرالية، ويتوافق هذا التطور على أرض الواقع مع ما تروّج له الحركة بشأن العلمانية، وكيف أنها لابد أن تكون في النهاية ليبرالية تحمي الدين ولا تسيطر عليه أو تتدخل فيه. ففكرة المشترك حول العلمانية مع تقديم تفسير لها، أظن هذه نقطة هامة جدا؛ تضاف إلى أن العلمانية فعلا قد اتجهت من النموذج الفرنسي إلى النموذج الأمريكي أو البريطاني بشكل أوضح عن ذي قبل.


أزعم أني لم أتعرف بعدُ على نموذج آخر مثل النموذج التركي استطاع توظيف العامل الخارجي لدفع التطور الإيجابي في داخله؛ مشروع الانضمام للاتحاد الأوروبي، وربما اختلفنا حوله بين نظرة إيجابية أو سلبية، ولكن لننظر إلى ما حققه على الواقع، لقد خلق بيئة دولية وغربية خاصة دافعة لمزيد من الانفتاح والحريات السياسية والمدنية في الداخل التركي، وهذا أعطى لحركة "كولن" فرصة كي تستمر في التطور والتقدم في تؤدة واستقرار من أجل كسب المجال العام وتغييره.

أما عن تعامل حركة "كولن" مع السياقات الراهنة، فنجد الخطاب يتناول إسلام "الفرد". فهو لا يواجه الدولة، وليست من اهتماماته، لا يتحدث عن تطبيق الشريعة أو عن الدولة الإسلامية. هدفه الأول هو إصلاح الفرد كمقدمة لإصلاح الجماعة، وهما في النهاية نواة مؤسسات الدولة شئنا أم أبينا. ومن ثم نجده يبدأ من التغيير التحتي إلى الفوقي، ولا يتعرض مباشرة لمفهوم السلطة وللمفهوم الضيق للسياسي.

يضاف إلى ذلك تفعيله لمناخ الصوفية في تركيا. ومعروف أن نمط الإسلام التركي يميل بشكل كبير إلى الصوفية. وفي هذا الصدد نجده استطاع أن يحرك هذا المناخ الصوفي، ويخرجه من الكسل الذي نشهده في عالمنا العربي ليكتسب قدرًا من الحركية الاجتماعية والثقافية التي تعتبر بشكلها الأشمل تغييرا سياسيا على المدى الطويل.

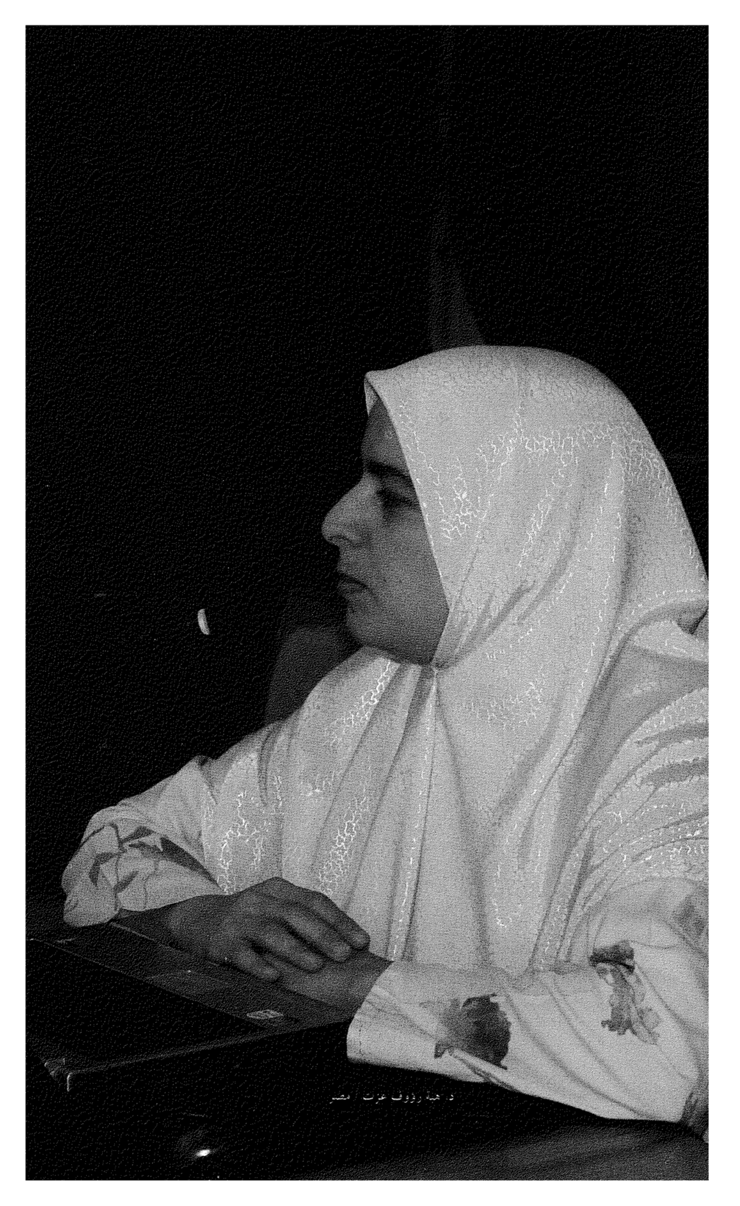
أما فكرة الحوار في خارج تركيا، فلديّ عينة لكلمة قالها "جون اسبيزيتو" منذ شهرين أو ثلاثة أشهر في مؤتمر في الولايات المتحدة الأمريكية، يتحدث فيها عن حركة الأستاذ "كولن"، فيخلص إلى أنها "أفضل حركة قادرة على إعادة هيكلة الشرق الأوسط، وأنها ربما تكون أفضل حركة إسلامية في القرن الماضي طوال مائة عام".

لماذا نجح الأستاذ "كولن" في الغرب مثلما لم تنجح أي حركة إسلامية



د. عبد الحميد مدكور / مصر

د. محمد سليم العوا / مصر



د. هبة رؤوف عزت / مصر

أخرى؟ لأن خطاب فتح الله كولن يخاطب مخاوف الغرب بلغة يفهمها، وفي نفس الوقت لا يتخلى عن الثوابت الإسلامية، وهذه براعة يجب أن تشهد له.

أضف إلى أنه امتلك المؤسسات والرؤية التي توصل فكره؛ وذلك لأن كثيرا مما طرحه الأستاذ "كولن" تم طرحه فيما بعد من قبل كتاب إسلاميين كثيرين، ولكن لماذا كان له هذا الصدى في الغرب؟ إنه نتيجة للبعد الحركي لفكره، لأن هناك المؤسسات، الطباعة، الفضائيات، الإصدارات، المدارس... كل هذا استطاع من خلاله أن يوصل فكره بشكل أقرب إلى الغرب. وفي النهاية أقول إن اختيار طريق الحوار، هو الاختيار الأصعب، لأنه يحتاج إلى تكامل الأدوات وتوظيفها في الواقع، واللعب على الفرص التي يطرحها الواقع، وتلافي قيوده؛ ورغم أنه الأصعب، يظل هو الخيار الأنجح لتحقيق أي مشروع إصلاحي في المستقبل.

أيمن شحاتة، باحث وممارس في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية / مصر

في حوار مع أحد التجار الأتراك يتحدث أن الأستاذ فتح الله كولن عنده أهداف وأحلام ومشاريع تفوق الخيال، و"بعقلي السليم قررت أن أخوض هذه الأحلام معه، لأن هذه الأهداف هي أهداف إسلامية إنسانية عالمية، والمال في النهاية هو مال الله". هنا في صناعة الرجال، تم تحويل حلم هذا الفرد من مجرد جَني المال وإعطاء جزء منه في سبيل الله، إلى أن يحيا الحلم، وتحيا الفكرة. إذن وجد له من يعطيه حلما جامعا يجد من خلاله تحقيقا للذات، وأصبح تحقيق الذات ليس فقط جمع الأموال وإحراز المناصب، ولكن في أن يتبنى هذا الحلم. وحلم الأستاذ فتح الله كولن ليس إصلاح تركيا، ولكن حلمه هو مبني على روح بعثة النبي ﷺ "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، ووظيفة الإنسان البلاغ؛ فهي من ثم عالمية وأثرها عالمي. نجح الأستاذ في أن يقنع هؤلاء الناس أن يتلمسوا وأن يستشعروا هذا الحلم، وأن يقربه إلى أذهانهم ويحملهم على تصديقه. إذا استطاع أحد أن يبلور هذه الأحلام، يستطيع أن يحرك هؤلاء الرجال. فصناعة الرجال هي عصب هذه التجربة، وهي عصب أي تجربة، وليس المال والمؤسسات فحسب.

د. هدى درويش، جامعة الزقازيق / مصر

بعد الجولة التي أخذناها في منظومة حركة فتح الله كولن الموجهة إلى الإنسانية والإصلاح والتجديد في الفكر الديني المعاصر، أدركنا أن هدف الحركة الأسمى هو إنشاء إنسان جديد بفكر جديد يستطيع الموازنة بين العقل والقلب، والثابت والمتغير، وأن ذلك الهدف كان القاعدة الحصينة الراسخة وراء نجاح حركة المفكر الإسلامي فتح الله كولن في تكوين مدرسة إنسانية عالمية قائمة على أسس أخلاقية وقيم عليا.

د. عبد الحميد مدكور، كلية دار العلوم جامعة القاهرة / مصر

ما يحدث عادة هو أن الفكرة تتحول إلى شخص، وعندما يُضرَب الشخصُ تسقط الفكرة وينتهي الأمر. على عكس ذلك، ما حدث عند الأستاذ فتح الله كولن هو أن الشخص تحول إلى فكرة.. فحركة.. فواقع.. فحركة مؤسسية في مختلف نواحي الحياة تقدم تصورا صحيحا للإسلام بجوانبه المتعددة العملية، وليس التجريدية.

د. هبة رؤوف عزت، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر


لقد لفت نظري في أسفار مختلفة ومن خلال التلاقي مع شباب من العالم التركي أمر أعتقد أنه هو جوهر حركة الأستاذ فتح الله كولن وما يميزها عن حركات كثيرة. ويمكن أن يوجز هذا الأمر في كلمة واحدة وهي "الأدب"، ويعني ذلك استعادة البُعد الأخلاقي الذي تتأسس عليه أي حركة اجتماعية أو حركة سياسية.. أي صياغة الإنسان صياغة تجعله نموذجا لكل المعاني التي يمكن أن يدركها الإنسان من القراءة متجسدةً في أفراد هذه التجربة، كل فرد على حدة؛

هذا التكامل الإنساني، هذه المصداقية، هذه الشفافية، هذه الدماثة، هذا التماسك النفسي والأخلاقي... وفتح الله كولن تمكن من أن يستثمر ذلك في البناء ويكوّن أصنافا مختلفة من البشر.
أعتقد أن تجربة فتح الله كولن هي وريثة الحركات الإسلامية في العالم العربي التي أخفقت إخفاقا بينا في أن تحقق ما حاولت حركة "كولن" أن تفعله. فكيف نرى في هذه التجربة أخطاءنا أو تقصيرنا.. هذا ما نحتاج أن ندرسه لكي نخرج ببعض الدروس، ليس فقط على المستوى الفكري أو الثقافي أو التحاوري، وإنما بدءا من بناء الإنسان، إلى بناء الوجدان، إلى بناء مستوى العرفان، إلى بناء مستوى الجنان والعقل والفكر والثقافة، إلى بناء المؤسسات والبنيان، إلى الحركة من أجل صياغة نموذج العمران.

عصام سلطان، محامي / مصر

إذا سألتَ سؤالا مَن هم هؤلاء؟ ستجد كثيرا من العناوين، يمكن أن تقول عنهم صوفيين، تلامذة "كولن"، خدّام المجتمع.. إلخ. وإن دل ذلك فإنما يدل على أنهم لا يتمسكون بالأسماء، ولا يتمسكون بالعناوين، ولا يضعون المظاهر في أكبر من مكانها الطبيعي، بل يقدمون مصلحة أمتهم على مصلحة ذواتهم.. إنهم يتأخرون خطوة إلى الخلف ويضعون الأمة أولا ثم هم. لا يتمسكون باسم، ولا يتمسكون بتنظيم، ولا جماعة ولا حزب ولا هيئة ولا شيء من هذا؛ بل يذوبون في هذا المجتمع. هم "روح يسري في جسد هذه الأمة".. إنهم روح الأمة التركية، لا تجد لهم أسماء لامعة، ولا تجد لهم عناوين براقة، ولا شعارا واحدا في كل مؤسساتهم التعليمية والتربوية والعلمية والإعلامية والصحية.. لم أجد لهم شعارا واحدا، دلّوني على شعار واحد في هذا المؤتمر... لا يوجد شعار، وإنما توجد روح هي أكبر من كل شعار، وأقوى من كل شعار وأهم من كل شعار.





حراء
حراء..
أشواق أمة،
وحياة إيمان،
واستنهاض حضارة...
حراء..
كون إيماني عظيم،
يقطر من جميع أنحائه
ماء الجمال...



المركز الرئيس

HIRA MAGAZINE
Kısıklı Mah. Meltem Sok. No:5 34676
Üsküdar İstanbul / Turkey
Phone: +902163186011 Fax: +902164224140







مركز التوزيع

٧ ش البرامكة – الحي السابع – م.نصر/القاهرة
تليفون وفاكس: 20222631551+
الهاتف الجوال : 20165523088+
جمهورية مصر العربية